روايات رومانسية عالمية

عبير



آن ميثر

طال إنتظاري

JOHN LEE

مكتبة زهران

آن ميثر

طال إنتظاري

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية
DANGEROUS RHAPSODY

مكتبة زهران
١٥ شارع الشيخ محمد عبده خلف الجامع الأزهر القاهرة
ت/ ٥١٤٢٩٥٥ - ٠١٢٢٧٨٦٤١٨

١ - أريدك ممرضة

تقع مكاتب شركة ثورن للكيماويات في احدى ناطحات السحاب الحديثة التي تعتز بنوافذها الزجاجية الضخمة. كان حارس المبنى يتجول بتمهل وهو يراقب المدخل الرئيسي والأشخاص الذين يعبرونه دخولاً أو خروجاً. وشعرت ايما بأن هذا الرجل ربما يمنعها من دخول ذلك الباب العريض. ولكنها استجمعت كافة قواها وثقتها بالنفس... ودخلت المبنى.

احست على الفور بأن قدميها غرقتا في سجادة خضراء رائعة ممتدة حتى مكتب الاستقبال، الذي تجلس وراءه صبية شقراء بارعة الجمال. ورفعت الموظفة رأسها نحو ايما وبدت انها اصيبت بشيء من الدهشة. بلعت ايما ريقها بصعوبة وقالت لها:

«لديّ موعد مع السيد ثورن في الحادية عشرة».

تفحصت الموظفة سجل المواعيد بسرعة وقالت:

«هل انت الآنسة هاردينغ؟».

هزت ايما برأسها علامة الايجاب. آه من الخوف! بدأ الضعف يعود مرة اخرى الى ركبتيها، وخافت من الانهيار! آه منك يا جوني، لماذا دفعتني الى هذا الوضع المزعج و... الرهيب؟ وسمعت ايما موظفة الاستقبال تتحدث هاتفياً مع سكرتيرة دايمون ثورن. تبادلت الموظفتان الاسماء وأوقات المواعيد وكلمات الشكر المعتادة، ثم اعادت الشقراء سماعة الهاتف الى مكانها وتطلعت نحو ايما قائلة بصوت هادىء:

«سترسل سكرتيرة السيد ثورن شخصاً يصحبك الى جناحه»...

ثم اشارت بلامبالاة الى عدد من المقاعد والكراسي الوثيرة والمريحة وهي تقول:

«استريحي هناك. فالموظف سيصل خلال دقائق قليلة».

وعادت الى اوراقها وسجلاتها التي كانت تنشغل فيها قبل قليل، فيما توجهت ابّا الى احد المقاعد وجلست على حافته بعصبية وترقب، خائفة من عدم قدرتها على ايجاد الكلمات الصحيحة اثناء المقابلة المرتقبة. آه منك يا جوني، تجلس الآن مرتاحاً وبعيداً عن المشاكل بينما تترك لي الأعمال الصعبة والقذرة؟ ولكن، هل كان بامكانه ان يعرف مدى الصعوبة والعذاب اللذين دفعها اليهما؟ انها تساعده الآن... ولكن، هل ستتحمل هذه عبء ذنوبه ومشاكله؟ بالنسبة الى جوني والى تحليله العادي البسيط، فإن مجرد اقامتها اكثر من علاقة صداقة مع دايمون ثورن قبل عدة سنوات يكفي لكي تتدخل لمساعدته وانقاذه. ولكن جوني لا يعرف، ولا احد غيره ايضاً يعرف، القصة الكاملة لعلاقتها مع دايمون ثورن. وبالتالي فإنه لم يكن بامكانه ان يعرف انها آخر انسان يمكن ان يحصل على خدمة او مساعدة من دايمون ثورن.

نظرت ابّا حولها بعينين فاحصتين، تتأمل المدخل الضخم والعدد الضخم من المصاعد الكهربائية السريعة. وتمنت لو ان الشخص الذي ارسلته لاحضارها يصل خلال لحظات، لأن الانتظار يزيد من آلامها وعذابها. لماذا؟ اوه! لماذا بلغت السذاجة بجوني الى الحد الذي اوقعه في هذه الورطة؟ وتطلعت الى ساعة يدها فلاحظت ان فترة انتظارها تجاوزت الدقائق العشر. كم سيبقيها على هذه الحالة قبل ان يستدعيها؟ ونظرت نحو موظفة الاستقبال علّها تحظى بكلمة مشجعة او معلومات مفيدة، ولكن الشقراء الجميلة بدت وكأنها لا تشعر بوجودها.

«آنسة هارديغ؟ تفضلي معي... من هذه الناحية».

اوصلها المصعد الى الطابق العلوي حيث يقع جناح دايمون ثورن، الذي يضم مكاتب فخمة وشقة خاصة يستضيف فيها بين الحين والآخر بعض الاصدقاء او زملاء العمل. واستنتجت ابّا بطريقة لم يشعر بها مرافقها الشاب، فهي تعرف شقة دايمون في هذا الطابق، مع انها استخدمت اثناء زيارتها الوحيدة المصعد الخاص الذي يصل الى قاعتها مباشرة.

سار معها الشاب الذي عرّف عن نفسه بأنه جيرمي مارلن الى آخر ذلك الممر الطويل، حيث دخل وإياها مكتباً مريحاً للغاية تستخدمه سكرتيرة دايمون الخاصة جينفر ولدن. وتذكرت ابّا ان جينفر هي سكرتيرة دايمون منذ اكثر من عشر سنوات في مكاتب الشركة بلندن. وتساءلت عما اذا تذكرت جينفر اسمها، لأنها كانت على علم بعلاقتها مع رئيسها قبل ثماني سنوات. وقال جيرمي وهو يقدمها الى جينفر:

«الآنسة هارديغ».

ردت عليه جينفر بابتسامة ناعمة:

«شكراً يا جيرمي».

وما غادر المكتب واغلق الباب وراءه، وقفت جينفر وتطلعت الى ابّا بدقة وعناية قبل ان تقول لها ببرودة ملحوظة:

«صباح الخير يا آنسة هارديغ. السيد ثورن مستعد لاستقبالك الآن. ولكني مضطرة لتحذيرك بأنه يكون مشغولاً جداً عندما يأتي الى لندن، وبأن الموعد التالي هو الحادية عشرة والربع».

«عملي مع السيد ثورن يجب الا يستغرق فترة طويلة. هل ادخل الآن؟»

هزت جينفر ولدن رأسها قليلاً علامة الموافقة، فرفعت ابّا يداً مرتجفة وطرقت الباب، سمعت صوتاً عميقاً يطلب منها الدخول. فتحت الباب بهدوء مصطنع ثم اغلقته بشيء من التحدي في وجه جينفر. نظرت ابّا حولها بسرعة وهي تتفحص تلك الغرفة الضخمة التي توحي بأن الرجل الذي يعمل فيها يصل الى ابعد الحدود: سجاد فرو لونه داكن، وستائر زرقاء ثقيلة تغطي النوافذ العريضة المرتفعة التي توفر منظراً رائعاً للمدينة. وكان ثمة مكتب خشبي ضخم يتوسط الغرفة وقد امتلأت صفحته بالأوراق واجهزة الهاتف. فيما كانت الجدران مغطاة بالرفوف الخشبية التي تغص بالكتب القيمة والجيدة، وخاصة العلمية والتقنية.

وتأملت ابّا باهتمام بالغ الرجل الذي قام من وراء مكتبه بتهذيب لدى دخولها. هل من تغييرات كبيرة في منظره؟ سبع سنوات ونصف السنة فترة طويلة جداً... وكأن كل ما شاهدته منه طوال هذه المدة يضع صوراً في الصحف لم تلفت نظره. فدايمون ثورن رجل في مستهل الأربعينات من عمره

ولكنه يبدو اصغر سناً. رجل طويل القامة عريض المنكبين، يغطي رأسه شعر أسود قاتم تزيد من هيبته وجاذبيته خصلات قليلة من الشيب الخفيف. وجهه قوي الملامح، عيناه خضراوان واسعتان، وفمه ممتلئ وشهي. وخلصت آنا في تحليلها الصامت الى ان دايمون رجل تحبه النساء جداً... حتى من دون ان يأخذن بالاعتبار ثروته الطائلة ومكانته في المجتمع.

ضاقت عيناه قليلاً لدى دخولها وغطت اهدابه السوداء الطويلة تعابير العينين وما تعكسانه من افكار وآراء. ولكن ابتسامته كانت ساخرة الى حد ما ولهجته تنم عن تهكم واضح:

«آنا... آنا! لم أرك منذ زمن طويل».

رفعت رأسها وحاولت ان تبدي نحوه شيء من الكبرياء وعزة النفس، فبالنسبة اليها دايمون لم يتغير كثيراً وهو لا يزال الآن... كما كان دائماً... شخصية قوية وساحرة. لم تعرف كيف ستناديه الآن... السيد ثوران او دايمون، كما كانت تفعل قبل ثماني سنوات؟ تجاهلت الاسم كلياً وقالت له بهدوء:

«صباح الخير».

سار نحوها وهو يبتسم، ثم دعاها الى الجلوس...

«هل تشربين شيئاً؟»

هزت برأسها نفياً، فعاد الى السؤال:

«قهوة، ربما؟».

«لا، شكراً. انا... انت تعجب بالتأكيد لماذا... لماذا طلبت مقابلتك؟».

عاد دايمون الى كرسيه، واخذ سيكاراً من صندوق على مكتبه واشعله بهدوء فيما كان يراقبها بدقة وعناية. ارغمت آنا نفسها على التطلع نحوه وقالت بصراحة متناهية:

«سبب الطلب هو جوني. انه يبدو انه اوقع نفسه في ورطة مزعجة».

«وهكذا اذن؟ انت تعنين بالطبع شقيقك جوني».

هزت آنا برأسها قائلة:

«طبعاً».

«واستمري!».

بحثت آنا بسرعة عن الكلمات التي يجب ان تستخدمها. فلو بلغته القصة والوقائع كتقرير طبي او تحليل علمي جاف، فانها ستشكل اعترافاً دائماً يحط اخيها وذنبه، مع ان جوني في الحقيقة لم يكن سوى ضحية لتصرفاته الرعناء المتهورة. ولكن كيف سيمكنها ابلاغ رسالتها كما يجب الى احد عمالقة رجال الاعمال الذي يبدو غير متعاطف معها ومع مشكلتها على الاطلاق؟ كيف ستخبر هذا الشخص الذي تنتشر شركاته وفروعها في دول العالم، والذي عمل دائماً بقسوة وبدون رحمة لتحقيق كل ما يريد ويبتغي؟ انه لن يفهم او يقبل ابداً ان يتصرف احد موظفيه... اخوها الذي يعمل في دائرة المحاسبة في هذه الشركة بالذات، بأن راتبه الشهري لا يكفي لتغطية خسائره الناجمة عن المقامرة!

ولكن هذه ليست القصة الحزينة بكاملها. فقد اوجد جوني لنفسه طريقة لاستعارة بعض الاموال من الشركة. واستخدم هذا الاسلوب طوال الاشهر الستة الماضية لزيادة دخله، آملاً دوماً في ان يحقق يوماً ما كسباً كبيراً يمكنه من اعادة هذه الاموال الى صندوق الشركة. ولم يجرؤ جوني على اطلاع شقيقته على ما يحدث معه. ولم تكن لتعرف بالمشكلة لو لم يقرر بعض المسؤولين فجأة اجراء تدقيق عن حسابات نصف السنة، ويكتشف جوني انه لم يعد لديه الوقت الكافي للتلاعب بالحسابات لتغطية سرقاته. ناشد اخته ان تساعده، فقبلت مرغمة، لانها تعرف ان التوسط لدى دايمون ثوران هو الوسيلة الوحيدة لانقاذ جوني من السجن او دفع غرامة كبيرة... او الاثنين معاً، بالاضافة الى فقدان وظيفته... شعر دايمون بترددها فأعاده التعقل الى وضعه الطبيعي وقال لها بهدوء:

«أظن ان مصاعب شقيقك ليست لها اي علاقة بعملية تدقيق الحسابات في الاسبوع المقبل!».

نظرت اليه بسرعة وعصبية لتشاهد تلك التعابير الساخرة والهازئة تملأ وجهه وعينيه. حدقت به بجميع حواسها وهي تحاول ملاحظة شعوره، لم يكن وجهه ينم عن شعور بالمفاجأة... او الاستياء... او الاهتمام. كان يبدو انه يعرف عن الموضوع اكثر مما تعرفه هي! رفعت يدها الى شعرها الاسود الكثيف، المتدلي بكبرياء وتحد على كتفيها، وازاحت بعض

خصلاته عن وجهها. ماذا ستقول؟ ماذا يفكر الآن؟ من اين تبدأ؟ واحست بأنه نهض من مقعده الذي سماعه صوت القهوة تغلي بالقرب في الابريق القريب من مكتبه. صب فنجاناً من القهوة وأحضره لها قائلاً بلهجة عملية خالية من الشكليات:

«الأفضل ان تغيري رأيك وتشربي فنجاناً من القهوة. تبدين وكأنك بحاجة الى قليل من القهوة الطازجة».

اخذت الفنجان من يده وشكرته بكلمة واحدة قبل ان ترفعه على الفور الى شفتيها وتشرب رشفة من ذلك السائل المنعش والشهي. لم يبتعد داڤيد كثيراً بل جلس على حافة مكتبه وهو ينظر اليها باهتمام وجدية.

ثم هز كتفيه وقال:

«حسنا يا ايما! سأوفر عليك عناء الشرح والتفصيل، فأنا اعرف كل شيء عن تلاعب شقيقك جوني بدفاتر المحاسبة».

كاد الفنجان يقع من يدها التي ارتجفت، وقالت له باستغراب:

«انت تعرف!».

وحلت موجة من الغضب القوي على توتر الأعصاب، وقالت له بانفعال:

«انت تعرف... وتركتني اجلس امامك اتعذب وأتألم، وافكر كيف سأكشف لك عن هذه المشكلة المريعة!».

ابتسم بهدوء وقال:

«اعذريني يا ايما! لا يمكنك ان تلوميني على ذلك. فإذا كنت اعلم او لا اعلم لا يعني تغيير جوهر القضية بشكل او بآخر».

اربكها قربه منها. عندما كان جالساً وراء مكتبه الكبير اقنعت نفسها بأنه ليس الا صاحب الشركة التي يعمل فيها جوني، وبأنها طلبت مقابلته لمجرد مساعدة شقيقها. اما الآن فهو هنا... على بعد سنتيمترات منها. وعاجت في نفسها تلك الذكريات المنسية عن العلاقة الحميمة التي قامت بينهما. هل كانت حقاً في يوم من الأيام قادرة ان تسيطر على هذا الرجل القوي والنافذ؟ هل هو نفسه الذي كان يضمها الى صدره؟ احمرت وجنتاها فأحنت رأسها بسرعة لكي لا يلاحظ ذلك. ولم تعرف ما اذا كان انتبه الى هذا التطور المفاجيء في شعورها لجاهه الا انه لم يعلق بشيء على احمرار

عندها بل قال:

«اتصور ان وجودك هنا هو بدافع رغبتك في انقاذ شقيقك من الطرد العلني والملاحقة القانونية؟».

ثم اطفأ السيكار بتمهل وسألها ببرودة:

«ولماذا تفترضين بأنني قد اساعدك في هذا المجال؟».

ردت عليه ايما بخجل وانقباض قائلة بتردد:

«وانا... انا لم افترض اي شيء... من هذا القبيل. جوني طلب مني ان اقابلك وانا لم... لم اتمكن من رفض طلبه... خصوصاً بعدما علمت حجم مشكلته... والعقوبات التي... يحتمل ان يواجهها».

«لا، طبعاً لا!».

قالها بشيء من الحدة وهو يقف فجأة ويبدأ بالسير حول مكتبه بعصبية واضحة. وبدا لها مرة اخرى كانسان غريب تماماً... ربما كان ذلك افضل بالنسبة اليها... ربما! ثم سمعته يضيف قائلاً:

«يجب ان اخبرك انني علمت فور تلقي نبأ الاختلاس الذي قام به شقيقك، بأنك ستطلبين مقابلتي عاجلاً ام آجلاً. ولأنني اعرفك حق المعرفة، او بالأحرى اعرف شخصيتك وافكارك امام المعرفة، فقد تصورت بأنه سيرغمك على الاتصال بي والاسترحام لديّ بالنيابة عنه. اني اعرف ايضاً شقيقك، كما ان ضعفه امام المقامرة لم يكن سراً. وكنت اعلم انك سوف تتورطين... وها قد ثبت ان جميع تصوراتي كانت صحيحة».

وكان علي ان اكون اكثر ذكاء، وان امنع نفسي من مشاركتك انقاذ اخي. فأنت لست مديناً لي بشيء، كما اني اعتقد انك تتمتع كثيراً بالمضايقات التي سيواجهها اخي».

ضرب داڤيد يده على مكتبه بعنف، صارخاً بغضب اثارته لامبالاتها وتجاهلها وعدم اكتراثها بقوته ومركزه:

«اللعنة عليك! فليس لديك اي اسباب حتى الآن لاصدار اي حكم علي!».

هبت ايما واقفة وهي تسأله بلهفة:

«لماذا؟ هل ستساعده بعد هذا كله؟».

كانت متأكدة من انه سيجيبها نفياً، ولكنها لم تعد مهتمة حقاً بما سيقول

لا. انها تريد فقط مغادرة ذلك المبنى باسرع ما يمكن قبل ان تنهار حصونها الضعيفة امامه وتبدأ بالبكاء. لقد حاولت جاهدة اقناع نفسها... وجوني يعرف ذلك. استدار دايمون تورن من وراء مكتبه ووقف امامها يحدق فيها بقسوة وعنف، ثم قال بهدوء:

«نعم سأساعده... ولكن بثمن».

ارتجفت ركبتاها ولم تعد رجلاها قادرتين على حملها، فانهارت في مقعدها. كان ارتياحها عظيماً لدرجة انها لم تسمع الشق الثاني من جوابه... أم انها سمعته ولم تعره اهتماماً جدياً. فتحت حقيبة يدها لتخرج علبة سكائرها لانها شعرت بحاجة الى التدخين. احس بذلك، فاخذ علبة مفضضة عن مكتبه وفتحها امامها قائلاً:

«تفضلي».

اخذت سيكارة فأشعلها لها وهي لا تزال تنظر اليه بحيرة وذهول. وبعد ان ارتاحت اعصابها قليلاً، هزت رأسها قائلة:

«لا... لا افهم».

ثم تنهدت واضافت بجدية:

«جوني سيعيد المبلغ بكامله، بالاضافة الى الفوائد التي تترتب عليه».

«الزاوية المالية لا تهمني انا بل تهم قسم المحاسبة».

«اذاً ما هو الثمن الذي يجب ان ندفعه؟».

اجابها بهدوء ونعومة:

«لا تستخدمي صيغة الجمع! ما يهمني هو الفرد... انتِ».

نظرت اليه اما فزعاً ثم هبت واقفة وابتعدت عنه بطريقة لا شعورية. لأي هدف او غرض يريدها دايمون تورن؟ ليس من المعقول بالتأكيد انه لا يزال بعد هذه الفترة الطويلة...

«لا!».

قالتها بصوت قاس وكأنه يقرأ افكارها وما يدور في رأسها. ثم اضاف:

«لا تتصوري للحظة واحدة اني اهتم بك، ولو قليلاً، من الناحية الجنسية!».

«اذن ماذا تريد؟ انا ممرضة لا سكرتيرة».

في تلك اللحظة بالذات رن جرس الهاتف على مكتبه، فرفع سماعة

الهاتف وقال:

«تورن. ماذا تريدين؟».

تحدث لفترة قصيرة من الزمن وكان الموضوع تقنياً بحتاً. وعندما انهى مكالمته الهاتفية، رن جرس في جهاز الاتصالات الداخلية. تبسم بصوت منخفض ثم ضغط زراً صغيراً وقال:

«نعم؟».

جاء صوت سكرتيرته هادئاً وقوياً في آن معاً:

«مدير مكتب وزير الصحة موجود هنا يا سيدي. موعده معك في الحادية عشرة والربع، أي منذ خمس دقائق».

نظر دايمون تورن بسرعة الى ساعة يده الذهبية وقال بلهجة لا تقبل الاعتراض او المناقشة:

«اخبريه بأني سأقابله خلال ربع ساعة».

«ولكن يا سيد تورن...».

«اخبريه ذلك يا آنسة ولسون».

«نعم يا سيدي».

بدأت الصدمة الأولى تزول بالمساعدة تزول تدريجياً، ولكنه لم يخبرها حتى الآن ماذا يريد منها كثمن لهذا القرار. نظر اليها بوقاحة وقال لها بهدوء وكأنه غير مهتم بتأخير مساعد الوزير لاسباب شخصية:

«قلت انك ممرضة... وانا اريد منك ان تعملي معي ضمن مجالك هذا».

بلعت ريقها بقوة وهزت رأسها كأنها فهمت قصده... مع انها لم تفهم شيئاً على الاطلاق. هل هو مريض؟ انه لا يبدو مريضاً... ولكنه ربما يعاني من احد تلك الأمراض اللعينة التي لا تكتشف في البداية من عوارض واضحة. وشعرت بأنها على وشك ان تصاب بالغثيان! عاد دايمون تورن نحو مقعده واشعل سيكاراً آخر ثم طلب من انها ان تجلس مرة اخرى. ولما رفضت، قال لها بهدوء:

«لا بأس. انت تعرفين اني تزوجت».

هزت رأسها علامة الايجاب. كيف لا تعرف! الم يتزوج اليزابيث كيتغفورد بعد اسابيع فقط من انفصالهما؟ الم تشعر بأن خبر زواجه آلمك

مرتها وكاد يقضي عليها؟ طبعاً تعرف! وسمعته يضيف:
«ورزقنا بابنة تدعى انابيل. انها الآن في السادسة والنصف من عمرها».
هزت ايما رأسها مرة اخرى. انها تعرف ذلك ايضاً. فعلى الرغم من انفصالها دأبت بعض الوقت على تتبع اخباره واخبار عائلته. واضاف دايمون بتأثر بالغ:
«هناك امر لا تعرفينه... امر لم نكشف عنه او نعلنه... وهو ان ابنتي عمياء!».
واخذ يراقب رد فعلها... اتسعت عيناها، فتحت فمها ثم عضت شفتيها. وقبل ان تتمكن من الاعراب عن اسفها الحقيقي لما جرى، تابع قائلاً:
«عندما قتلت اليزابيث بحادث سير، كانت انابيل معها. اصيبت بضربة قوية على رأسها افقدتها الوعي بعض الوقت. ولما استعادت وعيها تبين انها فقدت نظرها. هذه هي القصة بكل بساطة».
«وانا آسفة جداً. هل ستتمكن من استعادة نظرها؟».
«والاختصاصيون يعتقدون ان ذلك ممكن، اما انا فلست مقتنعاً بما يقولون. في اي حال، انه من المبكر جداً التكهن بشيء، فعمرها لا يسمح باجراء عملية جراحية كبرى لها. انا لا اوافق على مثل هذه العملية الآن».
وهز كتفيه العريضتين وقال:
«واذن، هذه هي المشكلة. المربية الموجودة مع انابيل منذ وقت الحادثة، اي منذ ثمانية عشر شهراً، ستتركنا الآن لأنها سوف تتزوج. وعليه، فانا بحاجة الى شابة تهتم بابنتي وترعاها. انا لا احب الغرباء في بيتي، وانت على الاقل لن تكوني غريبة. اتفقنا؟».
شعرت ايما بحيرة شديدة... وبخوف. انها تحتاج الى بعض الوقت لتأخذ قراراً جدياً وجريئاً كهذا. ستعيش في بيت واحد مع دايمون لورنت... ستراه كثيراً... ستعتني بابنته! اعترضي، تريده في حياتها مرة ان تسكن تحت سقف واحد مع هذا الرجل! ولكن هل من خيار؟ فاما ان تقبل وتنقذ جوني من السجن والفضيحة، واما ان ترفض وليتحمل جوني مسؤولياته ويحل مشكلته بنفسه. ردت عليه محاولة التملص والمراوغة:
«وانا... انا لست عاطلة عن العمل. اني الآن ممرضة رئيسية وسأصبح

رئيسية قسم في نهاية السنة. لا اعرف لماذا اجيبك!».
«واي، اعتقد انك ستوافقين... لأن رفضك سيعود على اخيك بضرر كبير».
لم تتمكن من ضبط اعصابها كثيراً فصرخت به في حدة وغضب:
«انك حقير!».
علق على اهانتها بسخرية هادئة:
«وانت تقصدين بلا شك كلمة لعين او ساحر. وان كنت فعلاً هكذا فما عليك الا ان تشكري نفسك، اليس كذلك؟».
ازاحت وجهها بعيداً عنه، غير قادرة على النظر اليه. انه لا يعرف ماذا يقول... ولا يعرف ماذا يطلب. استجمعت قواها وشجاعتها وقالت له بصوت خافت:
«ويبدو ان لا مجال لي للاعتراض او للرفض. سأضطر لتقديم استقالتي في المستشفى. سوف تتوقع الادارة مهلة لا تقل عن شهر...».
قاطعها بسرعة:
«واعطهم مهلة اسبوعين. سأدفع راتب الاسبوعين الآخرين. واذا واجهك احد بأي مصاعب او شكاوى... احيليه الى مكتبي».
استدارت نحوه بغضب صارخ:
«وهل تعتقد ان المال يشتري كل شيء؟».
هز رأسه واجابها بجدية وهدوء:
«طبعاً لا... وانا اعرف ذلك. الا انني لا اعرف لماذا تتصرفين بكل هذه الحدة والعصبية. يجب ان تكوني شاكرة لي... عوضاً عن تمضية فصل الشتاء في هذه البلاد الباردة، فانك ستذهبين وانت تستمتعين بشواطئ، البهاما وشمسها».
«وجزر البهاما!».
«طبعاً. انا اعيش هناك في الوقت الحاضر. الم تعلمي ذلك؟ ربما لم تعلمي، فمشكلاتي... كوضع ابنتي الصحي... سر احتفظ به لنفسي... ولبعض المقربين مني...».

٢ - انقذ اخاها... فقبلت

عندما عادت ايما إلى الشقة التي تتقاسمها وشقيقها، كان جوني ينتظرها على أحر من الجمر. انها شقة صغيرة تقع في إحدى ضواحي لندن، انتقلا إليها منذ وفاة والديهما قبل اربع سنوات، لأنهما اضطرا لبيع المنزل القديم ولم يبق لديهما مال كاف لشراء شقة أفضل. ولما دخلت الشقة، هب شقيقها واقفاً وحدق بها لحظة ثم امطرها بوابل من الأسئلة:

«هل التقيته؟ هل سيغفر لي؟ هل اقنعته بأنني لم اكن مخطئاً؟ ماذا قال؟ ماذا قال؟».

«جوني! ألا تفسح لي المجال كي اتكلم؟ تريد ان تعرف عدة اشياء في وقت واحد. نعم، التقيته. لا، لن توجه إليك اي تهمة قضائية...».

قاطعها بفرح وبهجة وهو يرفعها عن الأرض ويدور بها قائلاً:

«أوه، ايما! ايما سيس! كنت أعرف انك ستنجحين. كنت أعرف ذلك».

جلست على كرسي واشعلت سيكارة بيدين مرتعشتين. لم تتمكن من استيعاب فكرة التحول المفاجئ الذي سيطرأ على ظروفها وطريقة معيشتها. وبالاضافة إلى جميع مشاكلها ومتاعبها هناك مشكلة جوني نفسه. فمع انه في السادسة والعشرين من عمره ويكبرها بعام واحد، فإنه يبدو دائماً أصغر منها بكثير. وكانت ايما هي التي تتحمل على الدوام وطأة المشاكل التي يوقع نفسه بها، وتساءلت كثيراً عندما تخيلت الوقت الذي ستضطر فيه لتركه، والعيش في مكان يبعد آلاف الكيلومترات... حيث لن تتمكن من مراقبة اكله بانتظام، وحصوله على كميات كافية من الألبسة، وعدم اسرافه في التدخين!

«ذلك رائع يا اختي الطيبة! رائع!».

«لكنك لم تسمع بعد بقية القصة. فمايرون تورنتن يريد شيئاً مقابل ماله».

توقف جوني فجأة عن القفز والرقص في ارجاء الغرفة الصغيرة وسألها:

«وماذا يريد، بالاضافة إلى ماله بالطبع؟».

«انه يريدني انا. يريد على الأقل عروساً في المعرض. انه بحاجة لممرضة مربية... وهذا هو الثمن الذي يريده».

هز جوني كتفيه وقال عابساً:

«اوه، حسناً، فالأمر ليس سيئاً إلى هذا الحد! اعني ان راتبك الشهري كموظفة لدى تورنتن لن يكون قليلاً، أليس كذلك؟ اعتقدت في بادئ الأمر انه...».

وتوقف عن ابداء جملته، ثم عاد وقال لها:

«ولماذا هذه النظرات الشاحبة والغاضبة؟ العمل معه كممرضة خاصة اسهل بكثير من عمل نفسك في مستشفاك هذا طوال الليل والنهار».

حدقت به ايما وكأنها تراه لأول مرة في حياتها، وقالت له:

«الحقيقة يا جوني انك غريب في الازعاج واثارة الاعصاب. انك تعرف حق المعرفة انني اتمنى الوصول إلى احد منه، وانني على وشك الحصول على ترقية. وانا لا اريد التخلي فجأة عن كل ما كافحت سنوات لتحقيقه كي اصبح مجرد مربية لطفلة صغيرة، ولكنك لا تهتم بأمري ابداً، أليس كذلك؟ لا تهتم أبداً ما دمت قد انقذت جلدك!».

بدا الانزعاج واضحاً على وجهه وقال لها بحدة:

«ولا تكوني هكذا ايتها الصغيرة!».

صرخت به غاضبة:

«ولا تسمني الصغيرة! لن تكون مسروراً أبداً عندما اتحرك إلى ما خارج البلاد. الابنة تعيش في جزر البهاما ومايرون تورنتن يريدني ان اعيش هناك».

ظهر القلق فجأة على عينيه وسألها بلهفة وتلعثم:

«وماذا؟ ماذا تقولين؟ ماذا... سيكون امري... والشقة؟».

«وانا آسفة، ولكن هذا هو الثمن الذي يجب ان ندفعه. علماً انني اوافق

على طلب دابون واذهب الى سنت دومينيك لاهتم بابنته انابيل، واما ان تذهب الى السجن. هذان هما ببساطة الاختياران اللذان اتاحهما لنا دابون».

لوّح جوني بقبضته غاضباً وهو يقول:

«اللعنة! هذه هي طريقته وهذا هو اسلوبه! فرض الشروط القاسية!».

«جوني! لا تنسَ انك انت الذي اوقعتنا في هذه الورطة».

لم تقدر على منع نفسها من الدفاع عن دابون نورث. فشروط الرجل ليست قاسية او غير انسانية الى هذه الدرجة. وهو ايضاً...

«اعرف، اعرف، وليس من الضروري ان تذكريني دائماً بما حدث. واكرر القول إنني لا استغرب تصرفه هذا، لأن من طبيعته القيام بأمر حقير للغاية يؤلمني ويزعجني كلما كانت النتيجة».

«اوه، جوني!».

«انها الحقيقة، أليس كذلك؟ ربما، هناك عدة مكاتب ووكالات متخصصة يمكنه ان يختار بواسطتها ممرضة او رفيقة لابنته ويكون لها ضعف مؤهلاتك. كم عمرها؟ لا يمكن ان تكون اكثر من ست سنوات! انه الامر سخيف للغاية. لماذا يريدك انت بالذات؟ لماذا لا يقبل بأن ارد له ماله وتنتهي القصة عند هذا الحد؟».

هزت ايما رأسها قائلة بهدوء:

«لا اعلم اي شيء سوى ما اخبرتك به. لا اعرف لماذا يريدني انا شخصياً... فتصرفه معي يوحي بانه يحتقرني بشكل واضح».

«ها! هذه هي المسألة اذن. انه يستخدمك لمجرد انتقامي... لانه يحقد عليّ».

تنهدت ايما وقالت:

«مهما كانت اسبابه ودوافعه فان علينا القبول بشرطه... لأنني لا اعتقد انك على استعداد للدخول الى السجن نكاية به ولاغاظته، أليس كذلك؟».

احنى جوني رأسه خجلاً وقال بصوت منخفض وكأنه يرفض الاقرار بصواب كلامها:

«صحيح. وكم ستبقين هناك؟ ماذا سأفعل بعد ذهابك؟».

«لا اعرف يا جوني. والامر يقلقني كما يقلقك انت تماماً. صدقني».

«وما هي الترتيبات اذن؟ لقد اتخذ قراره هذا بسرعة على ما يبدو، أليس كذلك؟».

عضت ايما على شفتها وكأنها تذكرت شيئاً هاماً، وقالت:

«اوه، ربما، نسيت ان اخبرك يا جوني! كان مطلعاً على ما قمت به بالتفصيل... وكان يتوقعني ان اذهب اليه».

«الحقير!».

قالها جوني بعصبية بالغة، ثم مضى الى القول:

«كان علي ان اعرف ان ما من شيء يجري في تلك المكاتب والدوائر بدون معرفته التامة».

«لم يعد هاماً حقاً ماذا يعرف او لا يعرف. اطلاعه على الامر وفر علي الكثير من التوضيح والشرح... لا اكثر ولا اقل، وعلينا ان نقبل بالواقع».

ثم نظرت الى ساعة يدها وقالت بلهفة:

«اوه، انها الواحدة تقريباً. عملي يبدأ في الثانية، كما اني مضطرة لكتابة استقالتي».

«متى ستغادرين لندن؟».

«خلال اسبوعين تقريباً. سيتصل بي سكرتيره ويعطيني كافة التفاصيل. اعتقد انه يتحتم علي شراء بعض الثياب الصيفية. فمع اننا الآن هنا في منتصف فصل الشتاء، فان الطقس دافئ جداً طوال فصول السنة في جزر البهاما».

تمتم جوني بكلمات غير واضحة، ثم قال بحدة ظاهرة:

«تصوري! انا سأظل حبيس هذه المدينة الباردة والشقة الصغيرة، وانت ستذهبين لتمضية اجمل اوقاتك واحلاها».

هبت ايما واقفة واستدارت نحوه بعصبية بالغة، ثم قالت بانفعال واضح:

«انت حقاً اكثر الناس الذين عرفتهم في حياتي انانية وحباً للذات. انا لا يهمني بشكل او بآخر اين اذهب، ما دمت مرغمة على مغادرة موطني... والاستقالة من عملي، والابتعاد عن اصدقائي. هل تتصور حقاً انها الشيء

ان جزيرة معزولة، مهما كان طقسها رائعاً وموقعها خلاباً. . . يمكن ان تعوض جميع الاشياء التي سأضطر للتخلي عنها؟ والاكثر من ذلك كله، كيف تظن انني سأشعر بالنسبة الى العيش مع دايمون ثورن تحت سقف واحد. . . كأجيرة لديه، اتلقى اوامره وانفذ طلباته؟».

نظر اليها شقيقها خجلاً وقال:

«اعتقد ان الوضع سيكون يائساً الى حد ما، وخاصة انك لن تعيشي في ناسو كاحدى . . . الفتيات! انا آسف يا اختي. اعتقد انني كنت قلقاً الى حد ما. كل ما في الأمر انني سئمت تناول طعامي في الخارج وارسال ثيابي الى المصبغة».

«ارجوك، بحق السماء، ألا تصبح كالمشردين والمتسولين لمجرد انني لست هنا للاعتناء بك والاهتمام بامورك».

«انا لست غبياً الى هذه الدرجة، وانت تعلمين ذلك ايتها الأخت العزيزة».

ثم تنهد بانفعال وسألها:

«وماذا عن وظيفتي؟ هل لا ازال موظفاً ام انني فصلت من عملي؟».

«يقول دايمون ثورن ان بامكانك البقاء في عملك، مع ان المبلغ الذي اعطلته سوف يعاد الى الشركة طبعاً بواسطة حسومات معينة من راتبك الاسبوعي».

رد بمزيج من السخرية والحدة:

«طبعاً، طبعاً! اوه، حسناً، هذا يعني ان كل شيء قد انتهى».

نظرت اليه ايما بارتياح وابتسمت ثم ذهبت الى الحمام لابدال ثيابها والتوجه فوراً الى المستشفى، حيث لا يزال بامكانها تناول وجبة خفيفة وسريعة قبل الالتحاق بالقسم الذي تعمل فيه.

خلال الاسبوعين التاليين، لم تسمح ايما المجال امام نفسها، للتركيز على الاسباب التي دفعت دايمون ثورن الى استخدامها. كانت تمضي وقتها بين المستشفى وشراء بعض الحاجيات الضرورية، وكذلك في الحصول على الوثائق والأوراق الضرورية للاقامة والعمل في ناسو. وعانت في الليالي التي لم تتمكن فيها من النوم بسرعة، على تناول احدى الحبوب المنومة، رافضة دراسة الوضع وتحليل الاحتمالات والصعوبات.

واضطرت في المستشفى الى ابلاغ الموظفين الذين عرفوا باستقالتها، ان السبب في ذلك هو قبولها عرضاً من دايمون ثورن للعمل لديه في جزر البهاما كمربية لابنته. وفي احدى المرات التي كانت تكرر فيها حديثها هذا امام البعض، سألتها صديقتها جوانا دهم بتعجب:

«ولكن يا ايما، ألم تكن بينكما في السابق علاقة حميمة الى حد ما؟ اعني ان اسمه مألوف جداً! أليس هو ذلك الثري الامريكي الذي. . . ؟».

وتعمدت جوانا عدم اهتمام جعلتها خشية احراج صديقتها.

«انه في الحقيقة نصف امريكي، ووالدته بريطانية! والجواب على الشق الاول من سؤالك هو نعم. كنت اعرفه . . . ولكن ليس الى الدرجة التي تتصورين».

«في اي حال يا حبيبتي، اعتقد انك تقومين بخطوة جيدة. العمل في المستشفى رائع من جميع جوانبه، ولكنني مستعدة للتضحية بالكثير للتمتع بحرارة الشمس ودفئها».

تظاهرت ايما امام الجميع بأن الاستقالة صادرة عنها بمحض ارادتها وبناء على قرار مدروس، وليس نتيجة اكراه او ابتزاز كما حدث فعلاً. وكان نفعها الوحيد ان رئيسة المستشفى، التي منحتها ثقتها ومساعدتها وافسحت امامها مجال الترقية، قد تشعر الآن بأن ايما تخلت عنها بكل هذه السرعة واللامبالاة، ولكن يستحيل عليها شرح الوضع للرئيسة بدون ان تتحدث عما جرى لشقيقها. . . وهذا امر غير وارد بالنسبة اليها. بالرغم من انانيته واتكاليته وضعف شخصيته، فانه لا يزال شقيقها الذي تحب وتسعى لانقاذه ومساعدته بشتى الوسائل.

في الليلة الأخيرة لوجودها في المستشفى، اقامت الممرضات حفلة وداع لها. ثم توجهت خمس ممرضات معها الى شقتها، وانضم اليهن طالبان من كلية الطب وخطيبا اثنتين من الممرضات، بالاضافة الى جوني وصديقه مارتن وبيتر، واقام الجميع حفلة اخرى اتسمت بالمرح والصخب. ولاحظت ايما بانقباض ان وقتاً طويلاً جداً سوف يمر قبل ان تتمكن مرة اخرى من التمتع بحفلة كهذه. رقصوا . . . لعبوا . . . مازحوها حول طريقة الحياة التي ستعيشها، وكان يبدو على الجميع انهم يحسدونها على ثيابها الجديدة. حتى ان ايما نفسها بدأت تفكر جدياً بأن الامور لن تكون

سبة الى الحد الذي تتصوره. فدايمون نورث لن يمضي وقتاً طويلاً في ناسو. فأعماله كثيرة جداً، واهتمامه البالغ بنمو امبراطوريته واتساع رقعة انتشارها في العالم سيضطره الى السفر معظم ايام السنة. كما انه لن يفضل الجزيرة، بالرغم من جميع حسناتها ووجود ابنه فيها، على العواصم والمدن الكبيرة التي تتركز فيها شركاته ومعظم اعماله ونشاطاته.

توجهت ابما الى المطبخ لاعداد القهوة. خلال وجودها هناك، رن جرس الباب فلعب جوني لفتحه وهو يظن ان احد الجيران سوف يتذمر من الضجيج. الا ان الدهشة اصابته وعقدت لسانه عندما وقع نظره على آخر انسان يتوقع حضوره... دايمون نورث.

ولما اطلت ابما وشاهدت دايمون، احست بأن قلبها توقف عن الخفقان. تراجع جوني خطوة الى الوراء وهز بكتفيه ثم قال بشيء من السخرية:

«هل تريد الدخول، يا سيد نورث؟».

لم يجبه دايمون بل حتى لم ينظر اليه. تجاهله كلياً، ودخل الى القاعة فتوقف الجميع عن الرقص. اقتربت منه ابما فسألها وهو يتفحص الفوضى التي تعم الشقة:

«هل يمكن ان اتحدث معك قليلاً؟».

واجابته بتردد:

«انا... انا... كما ترى... انا... الا يمكن الانتظار حتى الصباح؟».

«لا، لا يمكن الانتظار. يمكننا التحدث في المطبخ».

وتوجه فوراً نحو المطبخ وتبعته ابما خائفة ومضطربة في ذلك المطبخ الصغير فيما استند دايمون الى الباب كي لا يتمكن احد من فتحه. ولدى دخولها، عاد المرح والضحك الى اجواء الغرفة المجاورة فشعرت ابما بشيء من الارتياح وزال عنها بعض انقباضها.

«ماذا تريد؟».

تأملها دايمون من رأسها حتى اخمص قدميها ثم عادت نظرته لتتركز على شفتيها كما لو انه يتأملها وأثار مشاعرها. فعلى الرغم من سنه، يبدو قوياً وحيوياً اكثر من الشبان الموجودين في قاعة الجلوس. فهم ... صغار بالمقارنة معه... من حيث الشخصية والخبرة... والجاذبية الجنسية.

«وجئت لاتأكد بنفسي انك ستحافظين على الشق المتعلق بك من الصفقة. اخبرك جوني طبعاً، ان جميع مشاكله سويت بطريقة نهائية».

«لم يذكر لي شيئاً من هذا القبيل. في اي حال، انا متأكدة من انك احتفظت بالبيانات كافية لادانته فيما لو تمردت انا على الانسحاب في هذه المرحلة».

«كم انت على حق يا ابما».

ثم اشار الى الغرفة المجاورة ومضى الى القول:

«اعتقد انها حفلة وداعية، اليس كذلك؟».

«نعم. هل هذا كل شيء؟».

«لا، ليس تماماً. اني متوجه الى هونغ كونغ غداً صباحاً، وهذا هو السبب الفعلي لمجيئي الليلة. ان الحكم من زواجك قبل سفرك. الانسة وكنت بلغتني بأن جميع اوراقك جاهزة. كذلك ستحضر كريس نورث في استقبالك هناك».

ردت عليه بكلمة واحدة:

«نعم».

«عظيم».

ثم هز رأسه وابتسم قائلاً:

«ماذا تظهر عليك هذه التعاسة كلها يا ابما؟ اني اضمن لك بأنك لن تجدي الحياة هناك مملة على الاطلاق. فسانت دومينيك قريبة بما فيه الكفاية من مكان اقامتنا، كي توفر لك جميع اسباب التسلية والترفيه عن النفس التي تجدينها في اي مكان آخر».

برقت عيناها غضباً وقالت له بعصبية:

«انك لن ترضى بأن اقول لك اني افضل بلادي الباردة والفاترة، على اي مكان آخر في العالم. انكلترا بالنسبة الي هي موطني ولا اريد الذهاب الى جزر في المحيط الاطلسي مهما كانت جميلة ورائعة».

«هذا يظهر جهلك لمثل هذه الامور. ففي هذا الموضوع، كما في غيره، تظنين انك اكثر اطلاعاً من غيرك. هل لا زلت تعتقدين ذلك يا ابما؟».

«انصحك، ارجوك!».

«بكل سرور».

هز رأسه نفياً وغادر الشقة دون الالتفات الى الآخرين. اقتربت منها جوانا وسألتها بتعجب ودهشة:

«هل هذا هو رب عملك الجديد؟».

أومأت برأسها علامة الإيجاب، فشهقت جوانا قائلة:

«أيتها المحظوظة! انه رائع، أليس كذلك؟ رباه، لو كنت في مكانك لرقصت فرحاً وابتهاجاً!».

«أوه، جوانا، ان الأمر ليس كما تتصورين على الاطلاق».

بدا التشكك على وجه الصديقة التي قالت:

«اسمعي يا عزيزتي! اذا كان صحيحاً ما يقولون من انكما كنتما على علاقة وثيقة قبل بضع سنوات، فما عليك الا ان تحاولي جهدك لاعادة المياه الى مجاريها».

ثم ابتسمت وأضافت:

«انك في الخامسة والعشرين، ومعظم من هن في سنك متزوجات منذ بعض الوقت».

أرغمت ايما نفسها على الابتسام وقالت:

«انا انسانة تهتم بعملها قبل اي شيء آخر، ألا تعلمين ذلك؟».

ولكنها عندما استلقت في سريرها تلك الليلة، لاحظت انها بحزن ويأس، ان الدموع تنهمر من عينيها رغماً عنها. فلو ان جوانا تعرف حقاً ماذا كانت تقول لها... لو انها كانت تدرك ماذا رفضت قبل بضع سنوات، لما كانت عاتبتها ولامتها بتوبيخها على عدم زواجها! ثم لو ان صديقتها تعرف كم من فرصة اتيحت لها قبل سبع سنوات لتكون اسعد امرأة في العالم... ولكنها لم تتمكن من انتهازها رغماً عنها...

٣- الرجل الثاني

اكتشفت ايما ان الترتيبات المعدة لرحلتها الى ناسو لم تكن قاسية ومرهقة كما تصورتها.

وعندما حطت الطائرة الضخمة في مطار نيوبروفيدانس الدولي رأت ايما جميع معاملاتها، ودّعت الاشخاص الذين تعرّفت اليهم اثناء الرحلة ثم توجهت بمفردها الى خارج المبنى الرئيسي. كان الطقس رائعاً والسماء زرقاء صافية، والارتياح بادياً على وجوه العاملين في المطار الذين يرتدون ثياباً خفيفة بيضاء، بعكس ايما التي كانت لا تزال مرتدية ثياباً شتوية سميكة لا تناسب الأجواء الدافئة.

وقفت تتطلع حولها علها تشاهد احداً يشبه دايمون نورد. فاذا كانت هذه الفتاة كريس احدى قريبات دايمون فانه سيكون بينهما بعض الوجه الشبه. الا انه لم تكن هناك قرب المدخل اي فتاة سوداء الشعر، بل كان شاب طويل القامة شعره نحاسي اللون ينظر اليها متأملاً ومتفحصاً.

تضايقت من نظرة التحديق بها، فاستدارت الى الناحية الأخرى، وهي تتساءل ما اذا كان من الأفضل ان تذهب لتشرب فنجاناً من القهوة بعد ابلاغ مكتب الاستعلامات عن اسمها ومكانها ووجودها. لم يكن من الحكمة مطلقاً ان تستقل سيارة اجرة وتذهب الى المدينة، لانه لم تكن لديها ادنى فكرة عن عنوان البيت الذي ستتوجه اليه.

حملت حقيبتها واستدارت نحو المبنى الرئيسي. تحرك الشاب فجأة وسار نحوها بسرعة. وفيما كان يقترب منها تساءلت ايما من يكون هذا الشاب الوسيم والجذاب الذي لا يتجاوز الثلاثين من عمره!

«انا آسف لأنك بدأت تشعرين بالازدراء نتيجة تأملي لك. ولكني فكرت في نهاية الأمر انك لا بد ان تكوني إيما هاردينغ. هل أنا على حق؟»

نظرت اليه ابما بارتياح، وقالت:

«نعم، أنا هي بعينها. هل جئت لملاقاتي؟»

وعندما اومأ برأسه علامة الايجاب، تابعت حديثها قائلة:

«أوه، شكراً، شكراً. كنت قد بدأت اشعر بشيء من الخوف والارتباك... يبدو ان ابنة عم السيد تورنت نسيتني تماماً.»

«ألم يقل لك داميون انني سأكون في استقبالك؟ اعني انني كنت على وشك الاصابة بخيبة امل كبيرة لأنك لم تنظري ابداً نحوي.»

«هل انت كريس تورنت؟»

«طبعاً.»

ضحكت وقالت:

«لا تؤاخذني لماذا كنت اتوقع فتاة بانتظاري! منذ ان ذكر الاسم امامي للمرة الأولى اعتبرت ان كريس هو تصغير لاسم كريستين.»

أخذ حقيبتها وسار نحو سيارة بيضاء رائعة ووضعهما في صندوقها، وفيما كان يفتح الباب لابما، قال لها بهدوء وبابتسامة رقيقة:

«كريس تصغير ايضاً لاسم كريستوفر. وبكل صراحة أقول لك انك لم تكوني كما توقعتك. فأنت اكثر شباباً... واكثر جاذبية وجمالاً.»

احمرّت وجنتاها خجلاً وقالت بحياء وسرور:

«شكراً لك على هذا الاطراء. لقد خففت من خوفي وقلقي.»

كانت رحلة السيارة مع كريستوفر تورنت الى ناسو ممتعة للغاية ولا تنسى. فقد اختار الطريق الساحلي لتشاهد اكبر قدر من المناظر الطبيعية الخلابة. وقالت ابما لنفسها انها لن تتمكن ابداً من وصف هذا المكان لشقيقها او صديقاتها في لندن بدون استخدام الكلمات الشاعرية الرنانة والتي توجد عادة في الكتيبات السياحية الدعائية. ومع انها ظلت تؤكد لنفسها ان جزر البهاما ليست المكان المفضل لاقامتها، فانها لم تتمكن الا من ابداء الاعجاب الشديد بالشواطىء التي تبهر الانظار بجمالها وروعتها. كما ان الأسماء التي اطلقت عليها جذابة وناعمة... شاطىء الحب، شاطىء العشاق، شاطىء النجوم...

التفت كريس نحوها وأشار الى احد ملاعب الغولف الشهيرة الى جنبها قائلاً بتكاسل:

«هناك أوجه نشاط متعددة للغاية. سباحة، تزلّج على الماء، غطس في الاعماق. هل تمارسين السباحة؟»

«نعم بالتأكيد. ولكني لم أجرب ابداً الرياضتين الأخريين.»

ردّ مبتسماً بفرح وزهو واضحين:

«سوف تجربينهما. سأعلمك انا نفسي.»

كانت ناسو تعج بالناس في مثل ذلك الوقت، ولكن كريستوفر تمكن ان يشق طريقه بين مئات من راكبي الدراجات وسيارات الاجرة وعربات الخيل ليصل بعد قليل الى باحة فندق ضخم.

«ها هي غرفتك محجوزة مسبقاً. اعتقد انك بحاجة الى حمام بارد وثياب صيفية خفيفة.»

هزّت برأسها موافقة.

تركته في القاعة الرئيسية وصعدت الى غرفتها يرافقها الحمّال الصغير الذي أوصل لها الحقيبتين وقبض بقشيشه ثم حيّاها باحترام وغادر الغرفة. واستغربت ابما لماذا أزعج كريستوفر نفسه وحجز لها غرفة مع حمام داخلي في مثل هذا الفندق الحديث مع انهما سيتوجهان بعد الغداء مباشرة الى ساكت دومينيك. استحمّت وارتدت ثياباً خفيفة ثم نزلت الى القاعة الرئيسية وهي تشعر بأنها مستعدة لمواجهة العالم. كانت الساعة قد تجاوزت الواحدة وبدأت تشعر بجوع حقيقي. وسرّها جداً ان تجد كريستوفر يهب لملاقاتها بمجرد ظهور وجهها من المصعد وهو يقول لها مبتسماً:

«ها، هكذا انت اكثر جوعاً.»

«وأنا كذلك!»

وسمحت له بامساك يدها فيما كانا يسيران نحو المطعم. وكانت طاولتهما التي حجزها كريستوفر في وقت سابق تطل على المرفأ. وطلبت ابما ان يقترح عليها ما يجب ان تأكله. فطلب غذاء شهياً احتسيا بعده فنجانين من القهوة لكل منهما.

«هل اعجبك الغداء؟»

ابتسمت واجابته بارتياح ظاهر:

«أنت تعرف انه اعجبني».

«ماذا كنت تفعلين في لندن؟ أعني . . . أعرف انك كنت مرضة، ولكن ماذا كانت هواياتك؟ هل كنت تسهرين كثيراً أو بالأحرى تقضين وقتاً طويلاً خارج المنزل؟».

هزت اما رأسها نفياً وقالت:

«لا، ليس كثيراً كنت احضر بعض المحاضرات . . . وعدداً من المسرحيات الجيدة بين الحين والآخر. احب الحفلات الموسيقية ومعظم انواع الموسيقى، كما أنني أهوى المطالعة الى الحد المعقول».

بدا الاهتمام على وجه كريستوفر وفي عينيه، وسألها:

«وما هي كتبك او موضوعاتك المفضلة؟».

«اني أقرأ كل شيء، تقريباً. تعجبني القصص البوليسية والعاطفية . . .».

«هل قرأت قصص كريستي هوي؟».

«كريستي هوي؟ أوه، طبعاً! انه ذلك المحقق الخاص الذي يكتب عنه مايكل جفريز. انها قصص لا بأس بها على الاطلاق. اعتقد انني قرأت اثنين او ثلاثاً منها».

ابتسم كريستوفر بمكر وقال بتعجب:

«قرأت اثنين او ثلاثاً فقط! ألم تعرفي انني كتبت سبعاً وعشرين من هذه القصص التي . . .».

قاطعته بدهشة وسرور بالغين:

«أنت مايكل جفريز! ما أروع ذلك! اني الآن بصحبة الرجل الذي خلق الشخصية الذكية المحببة، كريستي هوي! انه اسم جميل حقاً. كيف اخترت هذا الاسم بالذات؟».

«كريستي اسم لا يختلف كثيراً عن كريستوفر وهوي نبات شوكي كما يتفق مع اسم عائلتي ثورن، اي الشوكة، انه تلاعب في الأسماء والمعاني. وحتى اسم التأليف المستعار ليس في الحقيقة مستعاراً، فاسمي الكامل هو كريستوفر مايكل جفري ثورن».

علقت اما بحماس ظاهر:

«واعتقد ان الأمر مثير للغاية. فالكتابة اساس القراءة، وانا لم التق كاتباً

او مؤلفاً في حياتي. هل تسكن في سانت دومينيك؟».

«لا».

وهزّ رأسه ثم تابع حديثه عندما لاحظ عليها الارتياح وخيبة الأمل:

«اني اسكن في سانت كاثرين القريبة جداً من مكان اقامتك. انها في الحقيقة لا تبعد اكثر من أربعة كيلومترات تقريباً، مما يعني انك ستصبحين جارتي. وسيكون من دواعي سروري التحدث الى شخص يعجبه عملي».

«وعظيم، أوه، بالمناسبة . . . من يسكن في سانت دومينيك، بالاضافة الى النابيل طبعاً؟».

هزّ كتفيه وقال:

«هناك ناتري الفرنسية العجوز التي اعتقد انك ستحبينها. كانت مربية داورن في صغره. وهناك المعلمة لويزا مريديث، وبالطبع بعض الخدم».

«ويبدو بالتأكيد ان النابيل ليست بحاجة الى على الاطلاق. فلديها مربية ولديها معلمة وحاضنة؟».

نظر اليها كريستوفر بجدية وقال وهو يهز رأسه معترضاً:

«أظن انك على خطأ. فناتري طاعنة جداً في السن ولم تعد بالتالي قادرة على الاهتمام كثيراً بطفلة في السادسة من عمرها، وخاصة في وضع النابيل. اما لويزا فانها . . . الى حد ما . . . من غير فائدة. أوه، انها تعلم النابيل القراءة مستخدمة اسلوب برايل للأحرف النافرة، كما انها تتحدث اليها ومعها، واعتقد ان النابيل تتعلم منها الكثير. ولكنها من الناحية الأخرى ليست الرفيقة الصحيحة لها. فالطفل يجب ان يعامل كطفل لا ان تنظر اليه كمخلوق تافه يتعلم كالببغاء وينفذ الأوامر بدون حتى في المناقشة او الاستفسار المنطقي. لويزا لا يمكنها ابداً ان تنسى نفسها بما فيه الكفاية لتلعب مع الطفلة. انها متزمتة ومتحجرة».

تنهدت اما بعد سماعها هذا الشرح الوافي وسألته بهدوء:

«ومن كان يهتم بالنابيل فعلياً حتى الآن؟».

«مربيتنا لوسي، شابة في الثلاثينات من عمرها تزوجت رجل اعمال اميركياً متقاعداً، قرر ان ينقل مكان اقامته الى منطقة أقل صخباً وضجيجاً».

ثم وقف وسألها:

«هل أنت مستعدة؟»
أومأت ايما برأسها ايجاباً وسمحت له بأن يساعدها على النهوض ثم خرجا من المطعم. وفي القاعة الرئيسية توقف لحظة وسألها:
«كيف وجدت غرفتك؟»
«جميلة جداً. شكراً»
ثم انتبهت الى انه يعني شيئاً آخر، فعقدت جبينها قليلا وسألته:
«هل سنقضي الليلة في هذا الفندق؟»
ابتسم كريستوفر وأجابها بدعابة:
«هذه هي الفكرة. هل من اعتراض لديك؟»
دهشت ايما وردت عليه باستغراب ظاهر:
«من المؤكد انك تمزح! اعني اني فهمت من التعليمات المعطاة لي بأننا سنتوجه الى سانت دومينيك بعد الغداء مباشرة!»
علق كريستوفر ببرودة قائلا:
«تعليمات دايمون! اسمحي لي. قد يكون دايمون الرجل الكبير وصاحب الكلمة النافذة في بريطانيا والولايات المتحدة ولكنه هنا ليس اكثر من ابن عم لي، وأنا الذي أقرر كافة الخطوات والتفاصيل. ألا تريدين البقاء؟»
تنهدت ايما وأجابته بهدوء:
«ان المسألة لا تتعلق بالتأكيد بما أشعر به أو أريده...»
«حسناً قرري!»
احنت ايما رأسها قليلا كي تتفادى نظراته وقالت:
«أرجوك، لا أريد التسبب بأي مشاكل...»
«لا، أبداً. ما من احد سيحصي عليك تحركاتك هنا... فأنت لست في مستشفى كما تعلمين. الحياة هنا تسير بخطوات معقولة، اذ لا احد يرغب في الركض نحو حتفه»
ثم ابتسم وأضاف قائلا بهدوء ملحوظ:
«كفانا فلسفة ومحاضرات. اريدك الآن ان تشاهدي الجزيرة مع دليل سياحي تستحقين صحبته. نيو بروفيدانس منطقة رائعة.»
كانت تلك المحطة الأولى في جولتهما. وأخذها كريستوفر الى سوق القش، حيث اشترى لها قبعة كبيرة تحمي رأسها وعينيها من حرارة الشمس

القوية. ثم انتقل بها الى شارع مكتظ بالمحال التجارية التي تغص بالسياح من كل حدب وصوب. الا انهما لم يبتاعا شيئاً، اذ انه لم تكن لديها اي رغبة في الوصول الى سانت دومينيك وهي تحمل كميات ضخمة من الهدايا التي ستعود بها الى لندن بعد فترة طويلة.
وتجولا في الميناء، حيث شاهدت ايما جميع أنواع الزوارق والمراكب الشراعية واليخوت، ثم استأجر كريستوفر عربة تجرها الجياد وتجولا في جميع انحاء المدينة كسائحين يمضيان عطلة في تلك الجزر الخلابة. وكانت بعض الطرائف التي اخبرها اياها رفيقها ودليلها المثقف، اقرب الى الخيال منها الى الحقيقة. واهتمت ايما كثيراً بتاريخ الجزيرة لدرجة انها عزمت على شراء بعض الكتب التي تتحدث عنها، وذلك في اول مناسبة متاحة لها.
وبعد فترة من الزمن ذهبا الى الشاطئ، حيث سبحا في مياه دافئة ونظيفة أغرت ايما بالبقاء فيها طوال فترة ما بعد الظهر. وكان كريستوفر يتعمد اغاظتها مازحاً بدفعها تحت الماء باستمرار. ولما خرجت من المياه المنعشة وألقت بنفسها على المنشفة الكبيرة التي أحضرها لها كريستوفر، شعرت بلذة وارتياح عظيمين. وكادت ان تصدق تصورها بأنها حضرت الى جزر البهاما بمحض ارادتها وليس لأن دايمون تورنت لم يترك لها مجالا آخر.
اثبت كريستوفر انه رفيق ممتع للغاية. ومعرفته الوثيقة بالمنطقة وسعة اطلاعه في الحقلين التاريخي والاجتماعي، كانا مثار اعجابها واهتمامها. وكانت ايما تصغي اليه باهتمام بالغ فيما كان يحدثها عن العبيد الذين احضروا الى جزر الهند الغربية.
«المساكين التعساء! تحرروا من نوع من العبودية ووقعوا في آخر. في الولايات الجنوبية يضمنون لأنفسهم على الأقل الغذاء والمأوى. اما هنا فكان البعض منهم في بادئ الأمر يموت من شدة التعب والأرهاق»
وتنهد كريستوفر ثم تابع حديثه قائلا:
«كان البعض في تلك الأيام يعتبرون الافارقة شعباً يحتاج الى الزعامة والنظام الثابت كي يتمكن من العيش. لم يكونوا يصدقون ان ابناء هذا الشعب قادرون على تأمين الاكتفاء الذاتي والعيش بكرامة بدون حاجة للاستعباد والسيطرة.»
حركت ايما رأسها تحت قبعة القش الكبيرة وقالت بهدوء:

«إني أتعجب لماذا لا تكتب عن الجزر أو تتناول بعض عاداتنا وتقاليدها في قصصك! كتبك تدور دائماً حول موضوعات أميركية بحتة».

ابتسم كريستوفر ووضع شفتيه على مرفقه معترفاً بذلك إلى حد كبير منها، ثم قال بمرح:

«أساليب يا عزيزتي، أساليب! كتبي ناجحة جداً في الولايات المتحدة، وهي مورد رزقي الوحيد. فمن أكون أنا لأخيّب آمال قرائي؟».

«مرتزق استغلالي!».

قالتها مبتسمة ثم استلقت مرة أخرى على ظهرها وقد بدأت تشعر بالنعاس بسبب الحر والتعب. اقترب منها كريستوفر وسألها بهدوء ومودة:

«ألست مسرورة لأننا لم نذهب إلى سانت دومينيك اليوم؟».

فتحت ليزا عينيها وأجابت بارتياح:

«إذا كنت تسألني عما إذا كنت أمضي وقتاً ممتعاً، فأنت تعرف أن الجواب هو نعم. ولكني أشعر بالذنب كلما فكرت بالموضوع».

«إذن، لا تفكري! ما من أحد يتوقع وصولنا. أخبرت القليل أنني لن أعود اليوم».

شعرت ليزا بالاستياء وسألته بشيء من الحدة:

«وهل فعلت ذلك حقاً؟ هل كنت متأكداً إلى هذا الحد من أن جاذبيتك وسحرك سيحملاني على البقاء مهما كنت وكانت عليه آرائي ومبادئي؟».

ضحك كريستوفر بمكر وقال:

«يا عزيزتي، لو كنت ليزا مريديث أخرى لكنّا هناك اليوم بكل تأكيد».

ابتسمت ليزا وقالت:

«أوه، حسناً! أعتقد أن يوماً إضافياً لن يؤثر كثيراً على أحد».

عادا إلى الفندق بعد السادسة بقليل، وأبلغها كريستوفر بأن غرفته تقع في طابق أسفل. وقال لها وهو يهم بمغادرة المصعد إنه سينتظرها على الشرفة الغربية لتناول بعض المرطبات والفاكهة قبل ذهابهما إلى العشاء. تابعت ليزا طريقها إلى غرفتها حيث استحمّت وارتدت فستاناً طويلاً حاكته بنفسها لحضور حفلة راقصة قبل عيد الميلاد. وفرحت كثيراً لأنها أحضرت فستان السهرة هذا، إذ أن كريستوفر كان يستقبلها وقد ارتدى سترة بيضاء رسمية فوق قميص حريري جميل وربطة عنق أنيقة. نظر إليها بإعجاب قائلاً:

«تبدين رائعة! هل قلت لك أن ذوقك في اختيار الملابس يعجبني كثيراً؟».

«سيد ثورن، أنت تغازلني مرة أخرى».

ابتسم وردّ عليها بمرح ظاهر:

«لا، أنا لا أغازلك... وأعني ما أقول. ثم... لا تنسي أن الاسم هو كريس!».

أجابته بهدوء وهي تقبل منه بامتنان إحدى سكائره التي أشعلها لها بتهذيب:

«لم أنس. وبالمناسبة، أريد أن أشكرك جداً على كل شيء. كان يوماً رائعاً».

«لا تشكريني، أنا الذي يجب أن أشكرك».

ثم نظر إليها بحدة ومضى في القول:

«مهما كنت تظنين، فأنا لا أجد كل امرأة ألتقي بها جذابة مثلك يا ليزا».

«شكراً لك مرة أخرى».

بعد العشاء، توجها إلى قاعة الرقص ورقصا على أنغام فريق من العازفين المحليين الذين برعوا إلى حد كبير في المقطوعات الإسبانية والكلاسيكية القديمة. ورقصت ليزا مع كريستوفر عدة مرات كما أنها رقصت مرتين مع رجلين في الخمسينات من عمرهما.

أعجبها رقصه كثيراً... فخطواته خفيفة ومدروسة، وأسلوبه رفيع وراقٍ، ورائحته عطرة ونظيفة، و...

«إنك تجيدين الرقص إلى حد كبير».

ردّت عليه باسمة:

«لا أعتقد أن الممارسة هي السبب، فأنا لم أرقص كثيراً في لندن».

لم يصدّقها على ما يبدو. ماذا سيقول يا ترى لو أنها قررت إطلاعه على حقيقة علاقتها مع دايفيد؟ من الراجح أن أفراد عائلته وأقرباءه نسوا تلك العلاقة. كيف لا، وهم لم يحتفلوا بها أبداً! كانت بالنسبة إليهم مجرد اسم... وانتهى... منذ عدة سنوات!

في الحادية عشرة والنصف، خرجا إلى الشرفة لتنشق الهواء العليل والتمتع بضوء القمر الساطع. كانت السماء صافية جداً تتلألأ النجوم

الثلاثة التي تتألق بزهو واعتزاز. انها حقاً أمسية رائعة و. . .

«ما رأيك في أن نستأجر عربة ونقوم بجولة ليلية في المدينة؟».

تطلّعت نحوه فشاهدته ينظر اليها بحماس وترقب. ترددت قليلاً ثم هزّت رأسها قائلة:

«شكراً على الدعوة ولكنني مضطرة لرفضها. فالوقت متأخر، وغداً سيكون يوماً حافلاً بالنسبة إليّ. اعتقد انني سأذهب الى النوم، اذا لم يكن لديك أي مانع».

شعرت بخيبة أمله واضحة وجلية عندما قال لها:

«أوه، اذاً هذا يعني انك ذاهبة ان قبلت او اعترضت».

ثم هزّ كتفيه مستسلماً للواقع وأضاف:

«حسناً، سأوصلك الى غرفتك».

اجابته بتهذيب وهدوء:

«ليس من الضروري ان تفعل ذلك».

«اعرف، ومع ذلك فاني سأرافقك حتى الغرفة».

أحرجها اصراره قليلاً وأحسّ هو بذلك، فقال لها وهما يدخلان المصعد:

«لا تقلقي، فأنا لا أتوقع تجاوز باب الغرفة. كل ما في الأمر انني أريد الاطمئنان على وصولك بسلام. فالمصاعد والممرات تعج بالأشقياء والأشرار».

ضحكت ليزا بمرح وارتياح حقيقيين، وقالت:

«حقاً يا كريس؟ انك حارس امين!».

ولما وصلا الى الغرفة وفتحت ليزا بابها، وضع كريس يديه على كتفيها وسألها:

«استمتعت بيومك هذا، أليس كذلك؟».

هزّت ليزا رأسها وأجابت باسمة:

«الى اقصى الحدود».

«عظيم. تصبحين على خير يا ليزا».

ثم احنى رأسه وعانقها، فاستجابت له بصورة عفوية. تراجع فجأة الى الوراء وقد ازدادت سرعة تنفسه واصفرّ وجهه قليلاً. ثم شدّ على يديها

وقال لها متمتماً:

«سأذهب على الفور».

راقبته ليزا وهو يسير بسرعة نحو المصعد ويختفي بداخله دون ان يلتفت الى الوراء. دخلت غرفتها وأقفلت الباب وهي تشعر بالرضى والارتياح، على الرغم من الارهاق الجسدي.

٤ - عينان باردتان

سانت دومينيك جزيرة صغيرة هادئة تقع على بعد بضعة كيلومترات من ناسو. وذلك الصباح فيما كانت كريس وآنا يتوجهان إليها بزورق سريع، راحت الممرضة الشابة تتأمل بإعجاب عشرات الجزر الصغيرة المنتشرة هنا وهناك.

أوقف البحار زورقه قبل بضعة أمتار من الشاطئ، مخافة أن يغرز المحرك في الرمال. ارتدى كل من الرجلين سروالاً خاصاً بالغوص في الماء ونزلا من الزورق. وفيما حمل كريستوفر آنا إلى الرمال الجافة، تولى صاحب الزورق حمل حقيبتها ووضعها قربها. حياها كريس وأومأ برأسه شرقاً، ثم قال:

«هيا بنا! كنت أعتقد أن الآنسة مريديث التي يمكن الاتكال عليها سوف تحضر النايل لملاقاتك هنا».

تبعته آنا وسارت معه عبر حزام من أشجار النخيل الوارفة. وخلال ذلك وصلا إلى فسحة كبيرة بين الشجر حيث يوجد عادة الزراع من الفلّ يعيش فيها الخدم الذين في منزل دامونو. وشاهدت آنا بعيداً الصغيرة محوطة العري من الأشجار التي تخفي وراءها البيت نفسه.

منزل جميل حقاً منخفض وحديث البناء، ولكنه ليس غريباً أو غير مألوف بالنسبة إلى المنطقة ككل، وإلى الجزيرة بشكل خاص. إنه منسجم جداً مع محيطه... والحديقة المحيطة به آخاذة تبهر الأنظار، زهوراً وهندسة. بضع درجات عريضة تؤدي إلى باب أبيض ضخم كان مفتوحاً على مصراعيه. تطلع كريستوفر نحو آنا وأومأ برأسه إلى القاعة قائلاً:

«هيا، ادخلي! لن يعضك أحد».

فوراً، نزلت مسرعة من على درج داخلي متعرج سيدة طويلة القد نحيلة القوام راحت على الفور تتفحص آنا بعينين باردتين ونظرات متحفظة. وضع كريستوفر حقيبتي آنا على الأرض وابتسم إلى السيدة قائلاً:

«ها هي الصديقة الرائعة! لويزا التي لا تقدر بثمن! كيف حالك يا حبي القديم؟».

أجابته لويزا تماماً وتقدمت نحو آنا وهي تسأل ببرودة:

«أنت بلا شك الآنسة هاردينغ. كنا نتوقعك أمس».

احمرت وجنتا آنا خجلاً، وارتبكت! ثم قالت لها بتلعثم:

«أوه! ولكني فهمت... أعني... السيد ثورن على ما أعتقد... يبدو...».

سيطرت على أعصابها ورفعت رأسها نحو تلك السيدة القاسية وسألتها:

«وأنت معلمة النايل ومربيتها، أليس كذلك؟».

حركت لويزا رأسها قليلاً إشارة إلى الإيجاب، وقالت بشيء من الحدة وهي تشير بيدها إلى كريس:

«من الواضح أن السيد ثورن لم يكن يفكر إلا بنفسه. ولسوء الحظ كانت لتصرفاته نتائج ومضاعفات غير سارة».

حدقت بها آنا وسألتها بكلمة واحدة:

«كيف؟».

«منذ ثلاثة أيام تركتنا الممرضة التي كانت تهتم بالنايل. وأمس، عندما لم يكن هنا أحد يتحدث معها أو يسليها، خرجت تتجول بمفردها. ولسوء الحظ، وقعت في بركة السباحة. ولو لم يكن الخادم هندي في مكان قريب، لكانت الطفلة غرقت... لأنها لا تعرف السباحة».

أطلقت كلماتها تلك بلهجة قاسية خالية من الشعور أو الإحساس وكأنها تقرأ نشرة الأحوال الجوية. صعقت آنا ولم تعرف ماذا تقول سوى كلمات قليلة جداً ولكنها نابعة من القلب:

«إني آسفة جداً».

ونظرت إلى كريستوفر الذي تمتم بكلمات مفهومة ثم سأل لويزا:

«متى وقعت هذه الحادثة؟».

«بعد ظهر أمس. وكما قلت، كان من حسن الحظ وجود هندي في مكان قريب مما مكنه من سماع صراخها. وأرى أنه من الأفضل اليوم أن نبقيها في سريرها خوفاً من أي مضاعفات غير مستحبة».

«وأنت، ماذا كنت تفعلين في ذلك الوقت؟ تقلمين أظافرك؟».

ردت عليه لويزا بغضب واستغراب، قائلة:

«لم تكن ضرورية أبداً هذه الملاحظة!».

وقالت إيما لنفسها إنها فعلاً بداية مشؤومة. وتأملت تلك المعلمة التي تبدو في أواخر الأربعينات أو بداية الخمسينات من عمرها، مع أنها في الحقيقة لم تتجاوز الخامسة والثلاثين. وسمعت كريستوفر يرد عليها قائلاً:

«في أي حال، فإن إيما لم تكن لتصل قبل الخامسة بكثير حتى لو عدنا أمس. ولذلك، فليس بإمكانك أن تلقي اللوم عليها».

«وهل قلت في أي وقت من الأوقات إنني ألوم الآنسة هاردينغ؟».

«أوحيت بذلك ضمناً. أوه، حسناً! يكفيك ثرثرة الآن حول هذا الموضوع. هل نايل في غرفتها؟ سأراها قبل أن أعود».

وسار نحو الدرج ثم التفت نحو إيما قائلاً:

«تعالي يا إيما، سأعرفكما على بعضكما. اتركي حقيبتك هنا. لويزا، استدعي أحد الخدم لينقل الحقيبتين إلى غرفة إيما. وإذا أخبرتني أيها ستكون غرفتها فسوف آخذها إليها أيضاً».

استدارت لويزا إلى الناحية الأخرى وهي تقول بجفاف:

«أنا لست مديرة المنزل هنا».

«لا يا سيدتي، لست مديرة المنزل. ولكن إما أن تفعلي ما أقوله لك وإما سأرفع عنك تقريراً إلى السيد نورتن».

لم تظهر أي بوادر قلق أو انزعاج على وجه لويزا، بل ربما دلت ملامحها على الاستهزاء وعدم الاكتراث. وردت عليه ببرودة قائلة:

«إن الأمر ليس في الصعوبة التي تتصورها، من الطبيعي أني أبرقت للسيد نورتن حول حادثة ابنته. أرسلت البرقية صباح اليوم وقلت له فيها بالطبع إن الآنسة هاردينغ لم تصل بعد».

«إنها ...».

وخنق كريستوفر الكلمة البذيئة التي كان ينوي توجيهها إلى لويزا، ثم التفت نحو إيما وقال لها:

«تعالي يا إيما. لا يمكنني تحمل المزيد من هذه التفاهات».

لحقت به إيما وهي تشعر بأن رأسها يدور في دوامة مزعجة. فلديها بالتأكيد شعور بالتعب، مهما حاول كريستوفر الدفاع عنها أو إقناعها هي شخصياً بعكس ذلك. وتمنت ألا يكون بقية الموظفين والخدم عدائيين معها كما هي لويزا بكل وضوح. وانتبهت إلى أنهما وصلا إلى آخر الممر، حيث فتح كريستوفر الباب وحيا الطفلة الموجودة في الداخل قائلاً ببساطة:

«مرحباً يا نايل!».

وسمعت إيما ضحكة طفلة خفق لها قلبها فيما كانت تلحق بكريستوفر إلى داخل الغرفة. كانت نايل نورتن تجلس في منتصف سرير ضخم يهيمن على غرفة مؤثثة ومزينة خصيصاً لطفلة صغيرة. ولاحظت إيما أن نايل تتطلع نحو ابن عم والدها بملامح سرور ومحبة واضحة. وقالت إيما لنفسها إن الفتاة الصغيرة حولت الكثير من عاطفتها ومحبتها إلى كريستوفر ربما بسبب تغيب والدها باستمرار. ولكنها أحست أيضاً بشعور من الارتياح. فبعد مطالب دافيرز النهائية والخاسرة اقتنعت إيما نفسها بأن ابنته طفلة مريضة وبحاجة لخدمات ممرضة قانونية ومتمرسة. وسمعت الصغيرة تتلقى عمها بلهفة وحماس:

«كريس، كريس، عدت إلينا! ما أروع ذلك! هل أحضرت معك الآنسة هاردينغ؟».

أمسك كريس يد إيما وأشار إليها بالجلوس على حافة السرير، فيما رد على قريبته قائلاً:

«نعم يا حبيبتي، إيما هنا. وهي أيضاً فتاة طيبة جداً، فلا تسيئي معاملتها وتدفعيها إلى الاستقالة».

ضحكت نايل بمرح ومدت يدها باتجاه إيما قائلة:

«أهلاً بك».

«أهلاً بك أنت يا نايل. كيف حالك الآن بعد غطستك في البركة؟».

تحولت ملامح الفتاة فجأة إلى الجدية وقالت:

«ألم تكن تلك حقاً غطسة سخيفة ومزعجة من جانبي؟ كانت الآنسة

مريديث ان تصاب بنوبة عصبية. ناتزي تضايقت وخافت ايضاً، ولكنها لم تعجب لدرجة كبيرة تدفعها الى ارسال برقية الى والدي. انه سيغضب كثيراً وسوف يؤنبني كثيراً على هذا التصرف».

رد عليها كريس بشيء من الحدة:

«سيكون له كل الحق، انابيل، بحق السماء، كانت تقتلين نفسك غرقاً!».

«اعرف، اعرف. الآنسة مريديث اخبرتني كل شيء. في اي حال، انها تبقى الآن في البيت طوال الوقت، لأن برندا لم تعد معنا. برندا طيبة وحنونة . . . كانت تدعني اذهب اينما اريد».

ذكرها كريس بمعلومات بسيطة غابت عن بالها وهي ان برندا كانت ترافقها دائماً ولا تدعها تذهب بمفردها. ثم اضاف قائلاً:

«لا تقلقي بعد الآن يا صغيرتي. فالآنسة هارديغ ستهتم بك من الآن وصاعداً وستأخذك اينما تريدين. اما بالنسبة الى ابيك، فانه حالياً في هونغ كونغ وأشك كثيراً في انه سيطير الاف الاميال لمجرد رغبته في تأنيبك وتأديبك».

تنهدت انابيل وقالت:

«امل ذلك».

«الآن يا عصفورتي الحلوة، يجب ان اذهب. فانا مضطر للقاء عراب وابلاغها بعودتي. سأعود قريباً لزيارتك. سوف تحبين الآنسة هارديغ، أليس كذلك؟».

بعد ذهابه انتظرت انها تتذكر بيتلين ومن تكون. فهو لم يذكرها او يتحدث عنها من قبل. هل هي اخته، او ربما مديرة منزله؟ وهزت رأسها . . . ستعرف من هي في الوقت المناسب، فلماذا اضاعة الوقت بالتكهن؟ كل ما كانت تأمل به في تلك اللحظة هو الا يقرر دايون لورن العودة الى سانت مونيك قريباً. كانت تأمل ايضاً في ان تتمكن من الاستقرار قليلاً في هذه الجزيرة قبل ان تضطر لملاقاته مرة اخرى. فوجوده قربها يثير شجونها وذكرياتها بشكل مزعج، كما انها تخاف من مشاعرها وعواطفها . . . بالرغم مما حدث في الماضي.

فتحت عليها انابيل تذكرها عندما رفعت لعبة كبيرة قربها وقالت:

«انها باتريشيا . الا تعتقدين انها جميلة جداً؟».

حدقت انها الكلمات التي كانت تعبر بها. فاللعبة ليست المظهر عزة الرجلين واليدين، عزة الشعر. نظرت اليها بحنان وشفقة، وقالت:

«طبعاً . . . طبعاً يا انابيل، انها جميلة».

واخذت اللعبة التي اعطتها اياها الفتاة الصغيرة، ثم اضافت:

«ما اجمل ثيابها؟ هل باتريشيا هي لعبتك المفضلة؟».

«نعم، انها معي منذ ان كنت في الثالثة من عمري. كانت معي ايضاً عندما . . . عندما . . .».

وتوقفت عن اتمام جملتها، فعرفت انها السبب. مسكينة انابيل! لا عجب ان كلا يبدو عليها الحزن والانقباض، فالحادثة المؤسفة التي حصلت لها ولوالديها لا تزال تؤثر عليها الى حد كبير. ثم سمعتها تسأل بتهذيب:

«هل ستتمكن من الخروج غداً؟ قالت الآنسة مريديث يجب ان امضي هذا اليوم في غرفتي بسبب الصدمة التي حدثت لي امس. ولكنني لست مضطرة للبقاء غداً، اليس كذلك . . . خاصة وقد اتيت انت؟».

«طبعاً لا. غداً صباحاً سنقوم بنزهة في بعض انحاء الجزيرة وتحدثيني عنها بالتفصيل».

«عظيم. كنت اعرف الجزيرة تمام المعرفة. قبل . . . قبل الحادثة، كنا انا ووالدي نأتي اليها كثيراً».

سمعت انها صوتاً في الممر المؤدي الى غرفة الطفلة فالتفتت لتشاهد امرأة مسنة تدخل الغرفة وهي تتكئ باجهاد على عصا. الا ان وجهها كان مبتسماً ومشرقاً، حتى بتجاعيده الكثيرة والمتعددة. وابتسمت بحرارة لانابيل التي وقفت لاستقبالها. واحست الطفلة بوجود المربية العجوز فسألت بلهفة:

«هل هذه انت يا ناتزي؟».

«نعم يا حبيبتي. اتيت لأدل المربية الجديدة على الغرفة المخصصة لها. اتصور انها قد ترغب بالاستحمام قبل تناول طعام الغداء».

هزت انها رأسها امتناناً، اما الطفلة فعادت الى السؤال:

«هل بامكانها ان تأكل هنا، معي؟ هل بامكانها، يا ناتزي؟».

«لا أرى أي مانع، ان كانت الآنسة تريد ذلك».

ثم تطلعت نحو ايما وقالت:

«كما سمعت، فإن الجميع ينادونني تانزي. اسمي الحقيقي هو هستر تانزفيلد ولكن يمكنك مناداتي تانزي كما يفعل الآخرون. انت هاردينغ، أليس كذلك؟».

«نعم. تشرفت بمعرفتك».

ثم تطلعت نحو انابل وقالت:

«اني متأسفة جداً لعدم تمكني من الوصول امس. الحادث... من المؤكد انه كان مرعباً ومزعجاً».

«هيا، انسي الموضوع. انا لا ندع هذه المشاكل الصغيرة تؤثر علينا، أليس كذلك يا حبيبتي انابل؟ نعم، كان حادثاً مزعجاً... ولكن الحوادث تقع. تلك المخلوقة مريديث وحدها اصيبت بهلع وذعر شديدين الى درجة السخافة والغباء، مما جعلها ترسل برقية الى السيد نوردن! من المؤكد انه سيتصور ان الفتاة جرحت نفسها مثلاً او تأذت كثيراً بشكل او بآخر. انابل لم تبق في الماء اكثر من ثلاثين ثانية».

اثناء الغداء، قدمت انابل لمرضتها ورفيقتها الجديدة تقريراً مفصلاً عن حياتها في سانت دومينيك:

«امضي ساعات الصباح عادة مع الآنسة مريديث، ثم اتناول غدائي وارتاح ساعة كاملة وبعد ذلك، كانت مربيتي، الآنسة لوسي، تأخذني في نزهات داخل الجزيرة. وكنا نطلب احياناً من كارلوس ان يأخذنا بنزهة بحرية في زورقه السريع. كارلوس يعمل هنا، وزوجته روزا تعمل في المطبخ. اتصور انك ستتعرفين عليهم جميعاً في الوقت المناسب».

ابتسمت ايما وقالت:

«ارجو ذلك. اخبريني الآن يا انابل، وبكل صدق وامانة هل ترين قليلاً؟ أي شيء، أو ضوء، أو لون من أي نوع؟».

«لا، لا شيء على الاطلاق. كل شيء اسود، مظلم».

ثم حركت كتفيها دليل عدم الاكتراث واضافت بثقة:

«اعتدت على هذا الوضع الآن ولم يعد يضايقني كثيراً. في البداية، كان التغيير رهيباً ومروعاً. اما الآن فلم اعد مهتمة. الجميع طيبون جداً معي

ووالدي... ابي، والذي كان يقلق كثيراً لامري، ولكن ذلك لم يكن تصرفاً صحيحاً. اعني انه لم يتسبب في وقوع الحادث، وهو بالتالي ليس مسؤولاً عنه وعن نتائجه. وعليه قررت ان ارضخ للواقع الجديد الذي اعيش فيه وادرب نفسي على مواجهته بأقل قدر من الازعاج والاكتئاب».

كانت تتحدث كالكبار... اسلوبها، كلماتها، طريقتها! ولكن، اين وجه الغرابة في ذلك؟ فمن الواضح ان حالتها ابعدتها عن الاطفال الآخرين واصبحت بالتالي تعيش باستمرار مع الكبار والراشدين، وتتحدث مثلهم. اخذت ايما تفاحة اخرى وسألت صديقتها الجديدة:

«اخبريني، هل هناك اطفال آخرون على هذه الجزيرة يمكنك مصاحبتهم؟ اعني، هل لديك صديقات تلعبين معهن في اوقات اللعب واللهو؟».

تنهدت انابل وقالت:

«ليس لدي احد. في اي حال، ما من احد يريد اللعب معي. فأنا عمياء، لا اقدر ان اجري وراء الكرة... او اسبح... او افعل اي شيء آخر».

احست ايما بعاطفة قوية تشدها الى تلك الطفلة المسكينة، وقالت لها بلهجة استغراب بدون ان تدرك انها بذلك تؤيد وجهة نظرها:

«ولكن يا حبيبتي، ليس هناك اي سبب يمنعك من اللعب او السباحة كالاطفال الآخرين. ثمة اشخاص كثيرون فقدوا بصرهم ولم يمنعهم ذلك من ممارسة السباحة او التزلج على الماء او اي شيء آخر يمكن للمبصرين ان يقوموا به. ففي لندن مثلاً، الآلاف من العميان الذين يعيشون حياة طبيعية جداً. فهم مثلك انت، ولكن طاقة النظر تحولت الى الحواس الاربع الاخرى، يستخدمونها بطريقة تعوض لهم عما فقدوه».

ثم اضافت شيئاً من البهجة والتشجيع الى نبرة صوتها وهي تختم حديثها قائلة:

«وانت... طفلة شجاعة وحكيمة عندما اقنعت نفسك بتقبل الواقع. ولكن الا تعتقدين معي ان الوقت قد حان لكي تحاولي العيش مع واقعك الجديد بصورة طبيعية؟».

هزت انابل كتفيها وسألت ايما وهي تتطلع نحوها بعينين زائغتين

بأزدهار:

«هل تعتقدين ان بامكاني ذلك يا آنسة هاردينغ؟ هل تعتقدين ذلك حقاً؟».

«نعم، اني مقتنعة حقاً بأنك قادرة على ذلك. وهذا هو سبب وجودي هنا... لمساعدتك. وقريباً جداً، بإذن الله، ستصبحين قادرة على السباحة كالسمكة. فحرام ان يعيش الانسان هنا ولا يكون قادراً على التمتع بهذه المياه المنعشة».

ظهرت ابتسامة خفيفة على وجه الطفلة ولكنها اختفت عندما قالت:

«تبدو القضية رائعة ومغرية، اعرف ذلك. ولكن ربما لا تعرف السباحة ولذا فانها لم تتمكن من تعليمي. كذلك فان والدي يقول دائماً ان المياه خطرة».

«الآن، يجب ان نثبت له انه على خطأ».

ومرت بضعة ايام شعرت ايما خلالها بأن اقامتها وعملها لا بأس بهما على الاطلاق، لا بل انها تمتعت بأيامها الأولى الى حد كبير. كانت تزعجها بين الحين والآخر الروح العدائية التي تناصبها اياها لويزا ريدوث. ومع ان تاري كانت على ما يبدو المشرفة على شؤون المنزل في غياب دامبورث، الا ان لويزا كانت تستخدم سلطتها ونفوذها كمعلمة وحاضنة الى ابعد الحدود.

ولاحظت ايما ان المنزل يعج بالخدم، الا انهم لم يتسببوا في اي وقت من الأوقات بالازعاج او بالفوضى، لأن كلاً منهم لديه مهام معينة ومحددة.

واكتشفت ايما ان مساحة الجزيرة تقل عن ثلاثة كيلومترات مربعة، الا انها محاطة من جميع جوانبها بشواطئ، وخلجان رائعة الجمال. ومن الجانب الشرقي للمنزل، كان بالمكان ايما ان تشاهد بوضوح جزيرة سانت كاترين الصغيرة التي لا تضم الا منزلاً رئيسياً واحداً... منزل كريستوفر ثورند. وفي احدى تلك النزهات المعدة مع الليل رأت يختاً حديث الطراز وأنيق المظهر، وعرفت انه يخص دامبورث.

«اني احب النزهات البحرية كثيراً. وهو يسمح لي بالصعود الى اليخت ومرافقته في بعض الرحلات القصيرة. ولكنه يصر على بارتداء سترة واقية من الغرق وحزام النجاة، مما يزعجني كثيراً وخاصة عندما يكون الطقس شديد الحرارة».

شدت ايما على يدها بعطف وحنان قائلة:

«يجب ان تبدأ دروس السباحة. وعندما تتعلمينها جيداً فإنك قد لا تضطرين الى ارتداء تلك السترة طوال الوقت».

«اوه، نعم، ارجوك!».

وراحت تقفز بسرور وحماسة، ثم اضافت:

«سأشعر بسعادة فائقة ان تمكنت من تعلم السباحة قبل عودة والدي. ارجو الا يكون غاضباً جداً بسبب وقوعي في البركة. لم يكن هناك اي داع ابداً لان ترسل لويزا تلك البرقية».

والحقيقة ان ايما كانت مقتنعة بأنها خطوة صحيحة. ثم، من يدري، الم يكن ممكناً ان تؤذي نفسك من جراء تلك الحادثة؟».

«لو كان كريس هنا، لما كان سمح لها بارسال اي برقية من هذا النوع».

ردت عليها ايما موافقة:

«صحيح. ولكن هذا لا يعني انه على حق. انت تحبين كريس، أليس كذلك؟».

ابتسمت تانيا وقالت بمحبة وحنان:

«اوه، نعم، نعم. اني افتقده كثيراً وكريس يحاول تعويضي عن ذلك. الا ان هيلين لا تحبه انه يزورنا كثيراً. اعتقد انها تشعر بالغيرة مني. هل تعتقدين ان هذه فكرة سخيفة؟».

عقدت ايما جبينها وقالت:

«لا اعرف. من هي هيلين؟».

«انها زوجة كريس. الم يخبرك؟».

شعرت ايما بالتقاص والحزن، ليس بسبب مشاعرها او احاسيسها بشكل خاص بل بسبب الطريقة العادية والعرضية التي تعرف بها منها... فقد سمح لنفسه مثلاً ان يعانقها! هل هذا هو سبب احتقار لويزا الشديد لها؟ هل حاول معها الاسلوب ذاته... وصدته؟ وبلعت ريقها بقوة وصعوبة. هل فكرت لويزا بأنها تعرف وضعه العائلي ومع ذلك تغاضت عن تصرفاته وصفحت عن محاولاته؟ انه احتمال معقول ويفسر الى حد ما بعضاً من العداء الذي تناصبها اياه! لا عجب اذاً لانها تضايقت كثيراً من بقائهما سوية في ناسو! وفجأة نمت برأسها فكرة اكثر هولاً

وازدهاءاً كيف سيبرر عملها لداغيون نفسه، وهو الذي يظهر لها بوضوح الاحتقار والازدراء؟ كيف تتوقع منه ان يصدق انها لم تعرف ان كريس متزوج؟ هل يضع كريس خاتم زواج؟ لم تعد تتذكر. . . ولكن كان عليها ان تفكر بهذا الاحتمال. . . ان تسأله؟ تسأله؟ لا، فهذا اسلوب سخيف للغاية. فهل يعقل ان تسأل فتاة الرجل الذي يستقلها عن المطار اذا كان متزوجاً ام لا، فور لقائها؟ هل سيقبل داغيون هذا التحليل المنطقي؟ وان لم يقبل، فهل سيعتبر تصرفها شاذاً وغير لائق بالتي سترعى ابنته وتهتم به؟

٥ - الصينية الغامضة

كان الجو في هونغ كونغ حاراً جداً وتبلغ فيه الرطوبة اعلى درجاتها، مما يشل حركة الانسان وتفكيره. وكان داغيون ثورة يسير بعصبية وقلق ظاهرين في ارجاء قاعة المسافرين الفسيحة بالمطار الدولي، متجاهلاً دعوات كبار الموظفين المتكررة له للذهاب الى الصالة المخصصة للمسؤولين واصحاب الشأن والنفوذ. ولكن داغيون لم يكن ليرتاح بفعل محاولات التهدئة والاسترضاء، وتعرض نتيجة ذلك، اكثر من مسؤول لتهكمه الحاد وسخريته اللاذعة. حتى بول رتيبي مساعده الخاص، الذي يرافقه في هذه الرحلة، لم يفلح باقناعه في تهدئة اعصابه. انهما ينتظران في المطار منذ اكثر من ساعتين. فقد حدثت مشكلة في طائرتهما قبل الاقلاع بلحظات، ولا توجد اي طائرة اخرى بديلة.

عاد بول يحاول مرة اخرى تهدئته والترويح عن نفسه. وبول شاب ايطالي وسيم الطلعة وصديق مخلص ومساعد امين يرافق داغيون في كافة اسفاره ورحلاته المتعلقة بأعمال امبراطوريته الضخمة. ويعرف ان داغيون يريد مغادرة هونغ كونغ بأسرع ما يمكن لاسباب شخصية، وكلما طالت فترة التأخير والانتظار كلما زادت حدة غضبه وانفعاله. اقترب من داغيون وقال له:

«لا شك فيه اني اشعر بحاجة الى فنجان قهوة وقليل من الفاكهة المثلجة. فما رأيك يا سيدي؟».

استدار نحوه داغيون بعصبية. كان يعرف انه يشعر بالحر الشديد والرطوبة القوية وان الطقس مسؤول جزئياً عن تعكير مزاجه. الا ان ذلك

لم يختلف من حدة رده على مساعده:

«اللعنة يا رجلي! قهوة وفاكهة! هل هذا كل ما يمكنك التفكير به الآن؟»

ثم سرح شعره الأسود الكث بأصابع يده التي تتصبب عرقاً وقال:

«اللعنة على الشيطان! آسف يا بول، أنا أعرف انك لست مسؤولاً عن هذا التأخير. . . ولكن قل لي بربك متى سنغادر هذا القرد؟»

ابتسم بول بارتياح. انه لحسن الحظ يعرف دايون لورن جيداً ولذلك فإنه لا يتأثر كثيراً اذا تعكر مزاجه، وتفوه بكلمات نابية وحادة.

«سأذهب للاستفسار عما اذا كانت هناك انباء جديدة. . . ثم نطلب قهوة وفاكهة، أليس كذلك؟»

ابتسم دايون قليلاً وأجابه:

«حسناً، حسناً اذهب الآن واستفسر عما يفعله هؤلاء الغبيون التعساء».

لاحظ دايون ان هناك فتاة صبية تراقبه من مكان بعيد في القاعة. كانت تجلس على مقعد منخفض وتضع رجلاً فوق الأخرى كاشفة عن ساقيها بشكل مثير. ولم يغب عن باله انها ترمقه بنظرات غنج ودلال. . . انه يعرف مدى تأثيره على النساء ومدى انجذابهن اليه. ولكن اهتمامه بمن كان دائماً عابراً وسطحياً. ثمة امرأة واحدة اراد فعلاً الزواج منها. . . انها مارديث. ومع ان علاقته بها اصبحت الآن جزءاً من الماضي وملكاً للتاريخ، الا انه لا يزال يشعر بالغضب والانزعاج كلما تذكر رفضها له.

وقفت الفتاة الصبية وسارت نحوه ثم توقفت امامه وهي تمسك بين اصابعها سيكارة غير مشتعلة. اومأت الى السيكارة وقالت له بدلال:

«هل تسمح؟»

اشعل لها سيكارتها بهدوء فيما كانت تتأمله بشغف ونهم. ابتسمت له شاكرة وقالت بغنج واضح:

«يبدو اني اضعت ولاعتي. شكراً».

«بكل سرور».

اجابها بهدوء وبلهجة ملحوظة ثم تطلع حوله بتبرم بحثاً عن بول. ثالث تأخر؟ لماذا لا يعود الآن وينقذه من هذه المعضلة الثقيلة؟ لماذا. . .؟

«هل انت مسافر الى سان فرانسيسكو؟»

«نعم».

«وأنا ايضاً. ربما تسمح لي بدعوتك الى كأس من الشراب لاظهار تقديري وامتناني. . . لانشعالك سيكارتي، بالطبع».

عبس دايون قليلاً وأجابها ببرودة:

«لا أظن انها فكرة جيدة. أنا ومساعدي سنذهب الى المطعم».

«يا للصدفة الجميلة! فأنا ايضاً ذاهبة الى المطعم».

حرك سيكاره بعصبية وتململ. انه قادر بكل سهولة ان يتصرف معها بوقاحة وفظاظة مما يرغمه منها بسرعة وبساطة. الا انه ليس من طبيعته ان يسيء الى الناس بطريقة عشوائية. وشاهد بول عائداً نحوه مبتسماً بمكر وسخرية وهو يومىء برأسه الى الفتاة. فهم بول الاشارة واقسم الشهم على الفور، اذ انه اصبح يعرف متى يتدخل ومتى يختفي.

«ومساعدي».

قالها دايون بسرعة وقد تعمد عدم سؤال الفتاة عن اسمها. ثم وجه الحديث الى بول قائلاً:

«هل من اخبار جديدة؟»

«نعم، القليل. يعتقد المسؤولون ان الطائرة ستصبح جاهزة خلال ربع ساعة. العطل لم يكن رئيسياً».

تمتم دايون قائلاً بسخرية لاذعة:

«تأخروا كثيراً لاكتشاف ذلك. في اي حال، لا يزال امامنا متسع من الوقت لشرب فنجان من القهوة».

احنى رأسه بأدب امام الفتاة الصبية وقال لها:

«عن اذنك».

ثم سار وبول نحو المطعم تاركاً الفتاة لتدرك بنفسها ان وجودها معه امر غير مرغوب فيه. تطلع بول الى الوراء خلسة وقال:

«من الواضح انها احست اخيراً بأنها مدعاة للضحك».

ابتسم دايون وقال:

«اللسوء حظها ان مزاجي لا يسمح لي الآن بمغازلة احد».

وصلت برقية لورنا الى فندق رويال بالاس في سان فرانسيسكو، في

اليوم التالي لوجود دايمون فورث ومساعده هناك.

كان دايمون وبول يجلسان الى طاولة العشاء عندما وصلت البرقية. فتحها دايمون بشكل عادي ظناً منه انها تحوي بعض المعلومات المطلوبة حول احدى شركاته الجديدة. واصابته دهشة قوية عندما وقع نظره على اسم لويزا مريديث في نهاية البرقية. قرأ النص بعناية فائقة ثم رمى الورقة الى بول، الذي كان يراقب ردود فعله بانزعاج وانقباض. قرأ مساعده البرقية وسأل رئيسه هامساً:

«هل تعتقد ان الحادثة خطيرة؟»

اخذ دايمون البرقية من يد مساعده وقرأها مرة ثانية بتمعن وتمهل. ملاحظات لويزا كانت مقتضبة وتتحدث عما جرى بالتحديد وبدون لف او دوران. النايل وقعت في البركة وكادت تغرق، وممرضتها الجديدة لم تصل بعد. اخذ سيكارة من بول، ثم هز كتفيه العريضتين وقال:

«اعتقد ان لويزا تضخم الحادثة قليلاً. الا ان هناك واقعاً لا يمكن انكاره او تجاهله وهو ان النايل وقعت فعلاً في البركة وانها كانت تصاب بأذى بالغ».

ثم طوى البرقية بحذر ووضعها في جيبه ثم اشعل سيكارة ثانية. كان يشعر في تلك اللحظات بغضب حاد. لماذا لم تصل اماندا؟ البرقية مؤرخة في اليوم التالي لموعد وصولها. فأين هي بحق السماء؟ وزادت حدة غضبه عندما لاحظ ان غيابها ازعجه كثيراً... ليس لأن وجودها كان سيحول دون وقوع الحادثة فحسب، بل لأنها هي لم تصل بعد، ولأنه لا يعرف سبب ذلك. انها الامرأة الوحيدة التي لها مثل هذا التأثير عليه. ونظراً لذلك فقد شعر ان بامكانه الآن سحقها وتحطيم عظامها بين يديه. علمته الحياة عدة امور واشياء هامة... قوة المال، قوة جاذبيته وشخصيته، وفوق ذلك كله قوة الذكاء. فقبل ان تصبح مؤسسته العملاقة على ما هي عليه الآن من قوة وعظمة واتساع، كان دايمون مجرد باحث كيميائي تخرج بدرجات مشرفة وممتازة من ارقى الجامعات وافضلها. تعرف منذ بداية عمله على جميع انواع النساء... من الضاربة على الآلة الكاتبة في شركته الى الباحثة والعالمة التي تعمل في الحقل ذاته، والتي قد تفوقه ذكاء وخبرة. الا ان واحدة فقط تمكنت من السيطرة عليه. كانت له دائماً اليد الطولى والكلمة

الاخيرة مع اي امرأة مرت في حياته، ولكن المأساة الكبرى كانت ان المرأة الوحيدة التي احبها، لم تعر مشاعره واحاسيسه اي اهتمام او انتباه. لم يدعه بول يستغرق في تفكيره، في احلام اليقظة التي غرق بها، عندما قال له مبتسماً:

«اعتقد انني اعرف ماذا يدور في رأسك. انك قلق طبعاً، فأنت والد الطفلة... ووالد محب. ولكن... اين هي هذه الممرضة التي استخدمتها حديثاً؟»

«وهذا هو السؤال. الا انني اعتقد انها موجودة الآن في سانت دومينيك. من المحتمل انها تأخرت قليلاً».

ضحك بول وقال:

«هل قلت ان كريس سيكون باستقبالها؟ انا لا استبعد ابداً ان يكون الفارس الوسيم قد اغراها بالبقاء في ناسو بعض الوقت. وان فعل ذلك، فإني لا الومه كثيراً لمحاولته جهده مع تلك الزوجة الحاسدة الغيورة، وارجو ان تكون مخطئاً، فمهما كانت ميولي، فان كريس رجل متزوج، وهذا يكفي».

«اني اتذكر جيداً انك لم تعر اي اهتمام على الاطلاق لعلاقته بلويزا في العام الماضي... وفي العام الذي سبقه، اذا لم اكن مخطئاً».

صرخ به دايمون بقسوة وعصبية:

«اهتم بشؤونك التافهة، ولا تتدخل بشؤون غيرك. احضر لي فنجاناً آخر من القهوة ثم اتصل بالمطار. سوف نستقل اول طائرة الى فلوريدا واعتقد ان بامكاننا متابعة الرحلة الى جزر البهاما في اليوم ذاته. اليس كذلك؟»

بدت الدهشة والحيرة على وجه بول الذي قال:

«اعتقد ان ذلك ممكن، اذا قمت بالترتيبات اللازمة منذ الآن».

«عظيم. باشر بها اذن».

اشعل دايمون سيكارة اخرى، فيما كان بول يشرب الجرعة الاخيرة من قهوته ويهز بكتفيه ثم يتوجه للقيام بالاتصالات الضرورية.

وفي تلك الاثناء كانت امرأة نحيلة تجلس قرب دايمون وتداعب ذراعه باصابعها وهي تقول:

«هل تتذكرني؟».

التفت دايمون نحوها متسائلاً فشاهد امرأة رائعة الجمال تزين عنقها بعقد من اللؤلؤ يلتف ثلاث مرات. وقال دايمون لنفسه: اذا كان هذا العقد حقيقياً وليس مزيفاً، فإن اهتمام المرأة به ليس كافياً. اجابها بتكاسل:

«لا اذكر. هل تشربين فنجاناً من القهوة؟».

هزت رأسها واجابت:

«مع قليل من السكر، شكراً. ولكن، ارجوك، انا ادفع».

«عندما اكون بصحبة سيدة، فأنا الذي ادفع».

ثم استدعى النادل وطلب منه فنجانين من القهوة. ولما ذهب سألها ببرودة:

«ولمَ اطلب القهوة؟».

بدا انها ترددت قليلاً ثم قالت:

«نسائي بن لورنغ».

تأمل الخواتم التي تزين عدداً كبيراً من اصابعها ورده بتعجب:

«السيدة نسائي بن لورنغ؟».

«نعم. وانت؟».

«ثورن. دايمون ثورن».

«وماذا تفعل في سان فرانسيسكو يا سيد ثورن؟».

«اعمالي».

سألته بهدوء:

«انت تملك تلك المصانع الكيميائية الضخمة في تورنتو».

قطب دايمون جبينه قليلاً وقال:

«لا، ليس بالضبط. فأنا املك قسماً منها».

واستغرب الكيفية التي عرفت بها هذه السيدة تلك المعلومات. فإن لم تكن تعرف اسمه، فكيف ربطت على الفور بينه وبين المعامل؟ ثورن ليس اسماً غير اعتيادي، فلماذا هو بالذات؟ كانت عيناها تستكشفان ارجاء المطعم، وقرر دايمون تحويل انتباهها اليه، فسألها:

«ولماذا اتيت الى سان فرانسيسكو؟».

هزت كتفيها ببرودة واجابت بهدوء وبحرمة:

«الى العيش هنا».

لم تعلق بشيء، الامر فاثارت حفيظة دايمون ضدها. كانت تبدو مهتمة بتحركاته واعماله، الا انها من الواضح لا تنوي الدخول في تفاصيل شؤونها وامورها الخاصة. كانت بلا شك تدرك بأنه يريد سؤالها عما كانت تفعله في هونغ كونغ ولكنها لم تصرح بأي معلومات، كما انها لم تشجعه على توجيه اي سؤال في هذا الصدد. وعوضاً عن ذلك، ابتسمت له وسألته بتهذيب:

«هل ستغادر سان فرانسيسكو قريباً؟».

التقط سؤالها المباشر. فابتسم وقال لها بخبث قائلاً:

«ربما... وربما لا!».

«ولكنك اميركي. فحبك لا أظن».

«ولدت في الولايات المتحدة. هل ولدت انت هنا؟».

«لا».

كلمة واحدة فقط وانزلت مرة اخرى الجدار السميك في وجه المزيد من الاسئلة او التفاصيل المتعلقة بها. وفجأة سمعها تقول له وكأنها تتحدث على سكوتها:

«ولدت في بكين. عائلتي لا تزال تعيش هناك».

ودار بينهما حديث سياسي، اتبعته بالسؤال التالي:

«هل تؤمن بالقضاء والقدر، يا سيد ثورن؟».

«ربما. ولكني اعتقد ان من الغرابة وكأن اجزاء احاديث كهذه بيننا».

ثم وقف وراح يتطلع حوله بتململ وتبرم، الى ان وقع نظره على بول فابتهج بارتياح. ورفع مساعده حاجبيه عندما لاحظ من تكون رفيقة دايمون. وعندما انضم اليهما لم يزعج دايمون نفسه بتقديمها الى بعضهما، بل اعتذر من السيدة واخرج بول الى القاعة قبل ان يسأله عما فعله بالنسبة الى سفرهما. تنهد بول وقال:

«نتوجه الى المطار خلال اربعين دقيقة تقريباً. الغي مسافران رحلتهما فتحررت المكانين على الفور. هل يعجبك ذلك؟».

هز دايمون رأسه علامة الموافقة والارتياح، الها بول فابتسم وسأله:

«وماذا عن الصينية الساحرة؟».

«سأبي بن لويغ. لا أعرفه».

ثم ضحك وقال ساخراً:

«أعتقد أنها شاهدت أخيراً وجهاً مألوفاً».

بدا التشكك على وجه بول، ثم قال:

«من المحتمل جداً أنها تبحث عنك في جميع الفنادق والمطاعم الراقية في سان فرانسيسكو. كان واضحاً لها أنك ستكون في مكان كهذا».

هز دايون كتفيه العريضتين بلا مبالاة قائلاً:

«وما هي المشكلة؟ القانون لا يمنع ذلك».

«وهل أنت مهتم بها؟».

«وماذا تظن؟».

«لا أعرف، لا أعرف. انها جذابة للغاية».

سار دايون نحو الباب الخارجي فيما كان بول يلحق به. ثم توقف واستدار نحوه ليقول بحذر:

«نعم، انها جذابة للغاية... شأنها في ذلك شأن الملايين من النساء».

٦ - غضب تحت الجلد

سحبت انيا يدها برفق ونعومة من تحت جسم النيل وهي تقول:

«هيا، تابعي، انك تتقدمين بطريقة رائعة».

تحركت يدا النيل الصغيرتان البرونزيتان وتبعتها الرجلان بالأسلوب ذاته. انها تسبح، انها حقاً تسبح. بفرحها ولأول مرة في حياتها! وشعورها، لا يمكن وصفه بكلمات! ثم أمسكت بيدي انيا تمسكان بوسطها وساعدتها على الوقوف على أرض البركة. وشهقت بحماس وسعادة:

«هل كنت أسبح؟ هل كنت حقاً أسبح؟».

«نعم يا حبيبتي، وبمفردك تماماً. قمت باثنتي عشرة حركة ولم أحد يداً تساعدك».

«أوه، انها التي يفاجأ والدي عندما يأتي؟ أعني، انه لم يكن يسمح لي أبداً بالنزول الى البركة لأن مياهها عميقة جداً... كما كان يقول».

ساعدتها انيا على الخروج من البركة وجلستا معاً على حافتها. كانت انيا ترتدي ثوب السباحة الأبيض المؤلف من قطعتين. وسرها كثيراً ان الشمس بدأت تلفح وجهها وجسمها لتضفي عليهما سمرة جذابة. كما لاحظت بسعادة فائقة ان الطقس في الجزر يناسبها تماماً. وانها بدأت تتأقلم بسرعة كبيرة مع مكان اقامتها الجديد ومع جميع العاملين في تلك الجزيرة الصغيرة. حتى لويزا مريديث نفسها لم تعد تتصرف معها بالقسوة والفظاظة اللتين كانت تستخدمهما في بداية الأمر. ورجحت انيا ان ذلك ربما يعود جزئياً الى ان لويزا لاحظت بلا شك الانزعاج الذي ابدته هي تجاه كريس.

فقد الى صباح اليوم الثالث لوجودها في سانت دومينيك واعلن بشكل

طبيعي جداً ان سيأخذ ايما والنايل في نزهة تستغرق طوال النهار. وكان قد جلب معه في الزورق عدة القطعي تحت الله وسلة كبيرة من المأكولات والمرطبات. وبدا انه لم يتوقع اي اعتراض على الاطلاق من جانب ايما. الا انه فوجئ، بانها مستاءة منه الى ابعد الحدود. ولما سألته عن مسألة زواجه وكيف انه لم يرجع نفسه باطلاعها على ذلك، هز كتفيه واجابها بهدوء:

«هيلين وانا لا نعيش حياة زوجية طبيعية. فهي لا يمكنها ان تنجب اطفالاً».

غضبت ايما جداً من ذلك الرفض البارد والقاسي لزوجته، فقالت له بدهشة واستغراب:

«ولكن من المؤكد ان بامكانك تبني طفل، اذا كانت المشكلة كلها تتعلق بهذا الموضوع».

«انا لا اريد اطفال الناس الآخرين. اريد اطفالاً من لحمي ودمي».

ثم امسك بيدها وقال:

«انك جذابة جداً بحيث يصعب علي ان ادعك وشأنك. لا تلعبي معي دور الفتاة الصعبة المنال فترة طويلة. لقد نفد صبري».

شعرت ايما بمشاعر الهم والاستياء ما يعتريها لساعات... وادركت ان سيطرة... ابتعدت عن التفكير بسببه... وانها لن تذهب معه الى اي مكان وفي اي زمان. وراحت النايل... التي لم تفهم سبب الثقل من حديثهما الغاضب، بحيرة الى كبيرة. الا ان ايما عرفت لها تلك الخسارة بتمضية المزيد من الوقت معها في البركة وبكسب ثقتها الكاملة بها.

غادر كريس سانت دومينيك غاضباً بصورة لم يسبق لأحد ان شاهدها او احس بها. ولكن ايما لا يحاول ايجاد اعذار لاطلاع داڤيون على كيفية تصرفها معه. وشعرت بصورة شبه اكيدة انه لن يفعل ذلك، لانه لن يتمكن من ابلاغ داڤيون بما جرى بدون ادانة نفسه... وهي مسألة قد لا يرغب في التعرض لها. واحست ايما تلك الليلة بشيء من الحزن والأسى لأن صداقتها القصيرة لكريس تحطمت بمثل هذه السرعة.

بدأت لويزا تلين معها قليلاً، واتفقتا بطريقة غير مباشرة على نوع من الهدنة. وتصورت ايما انه من الممكن جداً في نهاية الأمر ان تصبحا صديقتين عزيزتين. وباستثناء لويزا، والتزي بالطبع، فانه لم يكن لدى ايما

اشخاص آخرون تتحدث معهم. فالتقيت مع النايل، التي تحدثت مراراً كالراشدين، لا يمكن ان يحل محل الصداقات المتعددة التي الفتها في المستشفى.

كانت ايما والنايل تجلسان قرب بركة السباحة وتعرضان ظهريهما لشمس على وشك الغروب. وكانت النايل تبدو كلعبة سمراء جميلة تجلس على منشفة كبيرة وترتدي ثوب سباحة من قطعتين. حاكته لها ايما من احدى ستائر الحمام. وفجأة استلقت الطفلة الصغيرة على ظهرها وسألت رفيقتها الكبيرة:

«هل تعتقدين بأني سأتمكن يوماً ما من استعادة نظري؟».

ارتجفت ايما وارتبكت. انها لا تريد زرع افكار وآمال خاطئة في مخيلة الفتاة، مع انها تشعر من الناحية الأخرى ان مشكلة النايل هي نتيجة صدمة نفسية بقدر ما هي عجز جسدي. ولاحظت ايما انها كلما حاولت ان تتحدث مع الفتاة الصغيرة عن امها كانت تجابه بسد منيع من الصمت المطبق... وكانت النايل تقول امرأة، ولا تريد التفوه بشيء، خافة ان تفشي سرها... وما زاد في تصور ايما ان فقدان النظر يعود بدرجة كبيرة الى مشكلة نفسية... رأس الطفلة ووجهها... من اثار اي جروح او ... وفجأة سمعتا صوت طائرة... النايل والفتاة بدهشة وحماس قائلة:

«انه بابا. انه ابي. انه ابي».

وتوترت اعصاب ايما... هل هو حقاً داڤيون تورند؟ وهل عاد قبل موعده بسبب حاجة ابنته؟ وكيف سيفسر الليلة التي امضتها وكريس في ناسو وسألت صديقتها الصغيرة:

«هل يحضر والدك عادة بطائرة مروحية؟».

«احياناً».

ثم امسكت بيد ايما وسألتها بلهفة:

«هل بامكاننا ان نذهب لملاقاته؟».

تطلعت ايما نحو الطائرة، ولاحظت ان الوقت لا يسمح لها بالذهاب الى البيت وارتداء ثيابها ثم العودة الى مكان هبوط الطائرة لاستقباله. وكذلك، فانه ليس من اللائق او المستحب ان تستقبلا داڤيون تورند وهما

كحوريات البحر. ردت عليها بوداعة وحنان:

«اعتقد ان علينا الانتظار هنا. ثم... الا تريدين مفاجأة والدك بوجودك في البركة وقدرتك على السباحة بمفردك؟».

«طبعاً، طبعاً. نسيت! هل تعتقدين انه سيحب ثياب البحر التي ارتديها الآن؟».

«اوه، طبعاً. انا متأكدة من ذلك».

ثم اخذت معطفاً قصيراً خاصاً بالبحر وارتدته بسرعة لأنها لم تكن لديها اي رغبة في دفع دايمون الى الظن بأنها تعرض نفسها امامه بزهو وتيه. خفت صوت المروحة قليلاً ثم عاد الصمت يخيم على تلك الجزيرة الصغيرة.

كانت البركة تقع خلف المنزل، فيما كان مهبط الطائرة يقع في فسحة قرب الشاطئ. وما هي الا لحظات حتى ظهر دايمون ورجل آخر يخرجان من بين اشجار النخيل. كان دايمون يرتدي بزة زرقاء انيقة ويحمل حقيبة صغيرة. اما الرجل الآخر الذي يبدو اصغر سناً ويرتدي بزة رمادية، فكان يحمل حقيبة سفر خفيفة. وشعرت انها بأن دايمون يبدو اضخم مما هو عادة... واحست بقلبها يقفز الى حلقها ويحبس عليها انفاسها.

قفزت النايل وامسكت بيد امها وهي تقول بلهفة:

«هيا نستقبله يا امي. ارجوك. ارجوك!».

وجهتها امها نحو والدها فركضت نحوه بسرعة وثقة مدهشتين. وفتح دايمون ذراعيه القويتين وضم ابنته ثم رفعها في الهواء مرحباً بها بمحبة وحنان:

«نايل حبيبتي! انك تبدين اليوم جميلة جداً».

«هل انا حقاً يا ابي؟ هل انا حقاً جميلة؟».

ثم تحولت بوجهها نحو الرجل الآخر، وقالت:

«بول، بول، هذا انت اليس كذلك؟ هل تعتقد اني جميلة حقاً؟».

«رائعة الجمال! لا تبدين قطعتين ايضاً... من اين اتيت بثياب البحر الجميلة هذه؟».

«امي خاطتها لي. وهل تعرف ايضاً اني تعلمت السباحة».

نظرت امها الى وجه دايمون لتراقب رد فعله، فرأته يتطلع نحوها لأول مرة منذ وصوله... وسألها بشيء من الحدة:

«هل هذا صحيح؟ هل تعرف النايل كيف تسبح؟».

«تقريباً. لم اجد سبباً يمنع تعليمها السباحة. ان ذلك على الأقل يحول دون وقوع المزيد من الحوادث الخطيرة».

نظر دايمون الى بول فرآه يتأمل امها باعجاب ظاهر. وانتبه ايضاً الى ان امها ابتسمت له تشاكره اعجابه بصمت خجول. واحس دايمون فجأة بغضب شديد. كان عليه الا يحضرها ابداً الى هذه الجزيرة. لقد تصرف بغباء! انزلت النايل نفسها الى الأرض وامسكت بيد والدها وسألته بلهفة:

«هل تسبح معي؟ الا تريد مراقبتي عندما اسبح؟».

حوّل دايمون نظراته عن امها ورد على ابنته بحنان وانشراح:

«طبعاً يا حبيبتي. ولكن والدك أتى من مكان بعيد جداً وهو بحاجة الآن الى حمام بارد وساعتين على الأقل من الراحة. غداً... غداً ان شاء الله يمكنك تفويت دروسك وقضاء النهار بكامله معي. فما رأيك؟».

«اوه، نعم. وامي ايضاً؟».

«قد تكون الآنسة هاردينغ بحاجة للقيام ببعض الأمور الأخرى».

ثم رفع رأسه نحو امها قائلاً بجدية وهدوء:

«ولكني اريد التحدث مع الآنسة هاردينغ هذه الليلة، ان لم يكن لديها اي مانع».

«لا مانع على الاطلاق».

ثم امسكت بيد النايل واستدارت نحو البيت وهي تقول:

«اعذرانا الآن، فقد حان موعد الشاي لانايل».

ونظرت الى دايمون وسألته ببرودة اعصاب مذهلة:

«هل ستأتي لرؤيتها قبل ذهابها الى النوم؟».

«طبعاً وفي هذه الاثناء سوف استحم واشرب فنجاناً من القهوة».

وتطلع الى بول قائلاً بهدوء:

«بول، يسرني ان اقدم اليك الآنسة امها هاردينغ، مربية النايل ومرافقتها الجديدة».

ابتسم لها بول بحرارة فاضطرت لمبادلته الابتسام ولكن بشيء من التحفظ، وسمعته يقول لدايمون فيما كانت هي والنايل تتوجهان الى البيت.

«إنها بلا شك أفضل بكثير من بوندا لوسن».

«نعم. ولكن... لا تورطي نفسك معها».

قطب بول حاجبيه وسأله:

«وما قصة هذه الفتاة؟ يعني...».

رمقه دايمون بنظرة باعتراض، ثم توجه الى البيت دون أن يقول شيئاً.

وفي المساء، اختارت أنجيلا ثيابها بدقة لأنها لا تريد مواجهة دايمون بثياب منزلية عادية. وكانت أنها تتناول العشاء عادة مع لويزا وتانزي في إحدى الغرف الصغيرة التي تطل على البحر. أما هذه الليلة فلن يكون مريحاً على الإطلاق.

نزلت الى القاعة الكبيرة التي قلما تستخدم في غياب دايمون وهي مرتاحة الى أنها ساعدت أنابيل على الاستحمام وقدمت لها عشاءها ثم وضعتها في السرير بانتظار الزيارة المرتقبة من والدها. ولما دخلت القاعة وجدت بول دافيني جالساً في أحد المقاعد الجانبية يقرأ أحد كتب أنابيل. ولما شاهدها، هب واقفاً وقال:

«مرحباً مرة أخرى. السيد ثورن لم ينزل بعد. هل تريدين شراباً بارداً؟ سيكارة؟».

ابتسمت أنها وقبلت منه سيكارة أشعلها لها بتهذيب واحترام، ثم صب لنفسه قليلاً من عصير التفاح المنعش. سارت أنها نحو النافذة العريضة وأخذت تتأمل الحديقة الرائعة بإعجاب صامت. لحق بها بول وسألها بهدوء ومجاملة:

«هل استقرت بك الأمور هنا؟ أتصور أن الطقس يلائمك جداً. أليس كذلك؟».

«أوه نعم. انه بلا شك مكان رائع».

ثم استدارت نحوه وسألته:

«هل تعمل مع السيد ثورن منذ فترة طويلة؟ أخبرتني أنابيل أنك أقرب مساعدي والدها المفضلين».

«هذا صحيح. فأنا أعمل مع دايمون منذ ست سنوات».

ثم ابتسم وأضاف:

«إنها وظيفة مغرية. نسافر معظم الوقت... وإلى عدة أنحاء من

العالم. دايمون رجل رائع، ويسعدني جداً العمل معه. أنك لم تتعرفي عليه جيداً بعد، ولكن صدقيني...».

قاطعته أنها بتهذيب قائلة:

«أرجوك. دعنا من مناقشة شخصية السيد ثورن».

وترددت قليلاً ثم سألته:

«أنك بلا شك كنت تعرف السيدة ثورن».

«نعم. كنت أعرفها».

ثم قطب جبينه وأضاف:

«قتلت في حادث سيارة قبل عامين تقريباً».

«حادثة مأساوية بالتأكيد».

أنهى بول شرب عصيره دون أن يبدو عليه التأثر والانفعال، فشعرت أنها بحشرية قوية. كيف كانت اليزابيت ثورن. وكيف كان شكلها؟ من المؤكد أن دايمون أحبها كثيراً كي يتزوجها! وأنابيل... أنابيل ولدت خلال أقل من عام بعد زواجهما! وأحست بالضيق شديد، فقررت تغيير الموضوع

«هل تمضيان أوقاتاً طويلة هنا في سانت دومينيك؟».

«أحياناً نأتي الى هنا ونمضي بضعة أشهر، وأحياناً أخرى بضعة أسابيع فقط. وفي بعض الأوقات يأتي دايمون بمفرده لقضاء عطلة، فيما أعود أنا الى بيتي في ميلانو بإيطاليا».

خف توترها قليلاً فابتسمت له وقالت:

«أنك تتحدث الانكليزية بطلاقة».

علت وجهه ابتسامة عريضة وهو يجيبها قائلاً:

«أبي وأمي ايطاليان. ولكن أمي عاشت وتربت في بريطانيا لحين عودتها الى ايطاليا وزواجها من أبي. وقد علمتني الانكليزية منذ صغري. كانت دائماً تقول أن هذه اللغة ستصبح في نهاية الأمر الأولى في العالم، من حيث عدد الأشخاص الذين يقدرون على التحدث بها».

«أعتقد أنها كانت على حق».

ونظرت أنها الى ساعة يدها التي كانت تشير في تلك الأثناء الى الثامنة إلا ثلثاً. العشاء عادة يقدم في تمام الثامنة...

«الي اضجرك على ما يبدو؟».

ندمت ايما على تصرفها وسارعت الى القول:

«لا، ابداً. ولكني كنت اتساءل ... متى سيحضر السيد لورد؟».

«انه هنا!».

والتفتا ليشاهدا دايمون لورد واقفاً قرب الباب يتأملها بهدوء وجدية. ثم قال موجهاً كلامه الى ايما:

«آنسة هارديننغ، اريد محادثتك على انفراد. مكتبي هو المكان الأفضل».

شعرت ايما برجفة خفيفة فيما كانت تطفىء سيكارتها وتلحق به الى غرفة المكتب التي لم تدخلها بعد منذ وصولها الى الجزيرة.

توجه دايمون الى مكتبه واشار الى ايما للجلوس في احد المقاعد القريبة. فهزت رأسها بهدوء وقالت:

«افضل الوقوف، ان لم يكن لديك مانع. وقل لي ما تريده على الفور، لانني اكره هذا الترقب القلق».

رد عليها بتهكم واضح، قائلاً:

«يا للأسف!».

ثم اشعل سيكاراً وسألها بهدوء وهو يتكىء على المكتب الخشبي:

«ولماذا لم تصلي الى هنا في اليوم المقرر؟».

«استقبلني ابن عمك في ناسو، كما تعرف، ثم اقترح على البقاء حتى اليوم التالي لاتمكن من مشاهدة نيو بروفيدانس».

وتنهدت. فطريقة اجابتها على هذا النحو رهيبة ومزعجة. اللعنة! كان يجب ان تصر على كريس لاحضارها فوراً الى سانت دومينيك. رد عليها دايمون غاضباً:

«الي لا ادفع لك مرتبك كي تبقي في ناسو وتشاهدي المعالم السياحية».

«اوه، وما الفائدة؟ الك لم تفهم او تتفهم! عندما وصلت الى ناسو، تبين لي ان كريس حجز غرفتين في الفندق. وبما انه اعتبر بقاءنا تلك الليلة امراً مفروغاً منه.

ثم تنهدت واضافت:

«رفضت واعترف انه كان يتوجب على الاصرار على رفضي...

ولكن... اوه، يستحيل على الآن ان اشرح بالتفصيل ما حدث ذلك اليوم».

«الم يهمك ابداً انه رجل متزوج؟».

تنهدت ايما بأسى ظاهر وقالت:

«لم اعرف انه متزوج. انت لم تخبرني، وهو بالطبع لم يشرح بابلاغي ذلك. حتى اني كنت اتوقع فتاة في استقبالي، تصورت ان كريس تصغير لكريستين وليس لكريستوفر! كيف كان من المفروض على ان اعرف انه متزوج؟ لم يتصرف معي ابداً كأنه رجل متزوج!».

«اصدقك! اني اصدق كلامك!».

ووقف ثم قال:

«وماذا عن الباقي؟ اتصور انها تعنيك كثيراً. من المؤسف انك قد لا تبقين هنا».

حدقت به ايما بذهول وحيرة وهي لا تصدق ما سمعته اذناها. انه يمزح! انه لن يطردها لانها لم تصل في اليوم الذي حدده لها! انها مستحقة لخسارة مرتب ذلك اليوم الثمين ان كان يهمه تطبيق القانون بحذافيره! وسألته باستغراب واضح:

«وماذا على ان افهم من ملاحظتك هذه؟ انك سوف تطردني؟ وانك سترسلني الى لندن، وتعتبر ان مشكلة انتهى وكأنها لم تكن؟».

«هذا بالضبط ما افعله مع اي موظف اخر ليس لديه شك، شخص متورط بهذه القضية. ولكن يؤسفني ان وضعك يختلف عن اوضاع الآخرين. فانت لديك حصانة ضد الطرد... الا اذا عدت وقررت تحويل قضيته الى القضاء».

صرخت ايما بذهول ورهبة:

«ولكنك لن تفعل! لن تفعل!».

قطب دايمون حاجبيه وقال لها بهدوء وجدية:

«لا، لن افعل. وسأنسى هذه الحادثة مع كريس».

«وهل ستنساني؟».

درس دايمون بتمعن ملامحها المتهجمة. وتحيره حقاً وبسطقه من ابتدائها لحظة واحدة، بينما لا يزال قادراً على ذلك. ولكنه لأول مرة تحملها وقال

لها وهو يهز رأسه موافقاً:
«اعتقد ذلك».
ابتسمت ايما فعقد دايمون جبينه مرة اخرى وقال لها:
«يبدو الآن ان موقفنا تماكسا. فقد كان لدي انطباع بأنك كنت ترغبين البقاء في لندن... بأن عملك هناك... وبأنك سوف تحصلين على ترقية».
«كان هذا قبل لقائي اناييل. انها طفلة رائعة».
«هل هي حقاً؟ على الرغم من انها ابنتي انا؟».
«وما يجعلك تظن ان لذلك اي تأثير سلبي؟».
«يجب ان يكون، اليس كذلك؟ اعني ان هذا هو صلب الموضوع. ام ترى انا على خطأ؟».
ثم استدار نحوها غاضباً وقال:
«مرت اوقات شعرت خلالها بأنني اريد قتلك بسبب ما فعلته بي».
شدت ايما يديها بتوتر ظاهر. انها بعودتك الآن الى الموضوع الاساسي، وهي على وشك ان تفقد اعصابها. لماذا اعاد الى حديثه النبرة الشخصية؟ لماذا لم يحتفظ بلهجة رب العمل مع موظفته؟
وكانت خطوة نحو الأفضل.
وسارت بعصبية نحو الباب ولكن صوته اوقفها في مكانها عندما سألها بحدة:
«انك لم تتزوجي ابداً... الم تشعري حقاً بالندم؟».
«ندم بسبب عدم الزواج؟».
تقدم نحوها بسرعة وقال لها، بينما كانت عيناه تتأملان جسمها بإعجاب يصل الى درجة الاحراج والاهانة:
«انت تعرفين جيداً ماذا اعني».
ارتعش جسمها بقوة. فعندما يكون قريباً منها الى هذا الحد تشعر بالضعف امامه. ليس عليها الآن الا ان تخطو نصف خطوة نحوه لتتصل به وتشعر بدفئه وحنانه. وشعرت بأن رعاشاً شديداً يتملكها عندما احست بأنه لا ينتظر منها الا ان تفعل ذلك. وفي تلك اللحظة الوجيزة تذكرت بوضوح ادق التفاصيل في العلاقة التي كانت قائمة بينهما. انه لا يعرف انها تركته

لأجله هو... لصالحه! وتذكرت الليدي ماسترهام وهي تقول لها:
«ولكن، يا ايما، اعتقد ان دايمون يتصرف بشجاعة فائقة، الا توافقني الرأي على ذلك؟ اعني... رجل بعمره ونفوذه، وفتاة صغيرة بجمال مثلك لا تملك حتماً واحداً! اعني، يا عزيزتي، ان الناس سيحكون... من المؤكد انهم سيحكون! ويخيل الي انه سيكون لكلامهم تأثير سلبي وغير سار على مؤسسته عندما يعرف منافسوه بضعف تماسكه. ثم ان هذا التصرف لا يدل على خلق رفيع وشخصية قوية، الا تعتقدين ذلك؟».
تذكرت ايما ايضاً ان عمي الليدي ماسترهام كانا تساءلا كيف ان رجلاً مثل دايمون قد ابدى اي اهتمام بحضرة مثلها! الا ان الليدي نفسها لم تجرأ على الافصاح علناً عن مثل هذه الآراء اللاذعة. ولكن البذور زرعت بصورة جذرية، وكان على ايما ان تسمع العديد من الملاحظات المماثلة. وكانت كل ملاحظة اسوأ واشد قسوة من سابقتها... الى ان اقتنعت ايما بأن وجودها معه سوف يلحق الدمار بعمله... وبحياته.
رفعت رأسها وتطلعت فيه غير قادرة على النطق بكلمة واحدة. حدق بها دايمون لفترة قصيرة. وعندما شعرت بأنها لم تعد قادرة على الوقوف طويلاً، ازاح وجهه عنها وتمتم بصوت متوتر وغاضب:
«اخرجي!».

JOHN LEE

٧ - بحر من العواطف

صباح اليوم التالي، تناولت ايما طعام الفطور في غرفتها ثم نزلت الى الطابق الأرضي لتسمع من لويزا ان رب البيت وابنه خرجا سوية منذ بعض الوقت.

«انت وانا اليوم في عطلة الراحة. فقد اوضح السيد لورد انهما سيستقلان اليخت ولن يعودا قبل المساء. اعتقد انه سيأخذها الى الجزيرة.»

نظرت اليها لويزا وابتسمت بمكر فاتنة وهي تشير الى احد الزوارق:

«هذا هو الزورق الذي يقوده جوزف، ان كنت ترغبين برحلة قصيرة الى ناسو.»

ثم وقفت واضافت:

«فعلاً، وبكل جدية، انا لا امانع ابداً برحلة كهذه، وبما انه ليس لدينا اي شيء نقوم به...»

وتوقفت عن الكلام جاعلتها عمداً. ابتسمت ايما دليل الموافقة وقالت:

«فكرة لا بأس بها على الاطلاق. كنت انوي ان احضر بعض الأمتعة... ولكن، ماذا عن السيد رفيني؟ الن يتوقع منا البقاء هنا؟»

ابتسمت لويزا بالنسبة الى السيد رفيني. فالسيد لورد اوصله الى سانت كاترين حيث سيمضي النهار مع كريس وهيلين. بول وكريس يعرفان بعضهما منذ عدة سنوات. انهما زميلا دراسة.

«اذن، اعتقد ان علينا الترفيه عن نفسينا... اليس كذلك؟»

اعادهما جوزف بعد ان تناولتا غداء من السمك والخضار في الهواء

الطلق. ولكنهما شعرتا بشيء من الذنب لأنهما تغيبتا طول هذه الفترة الطويلة. وفيما اقترب زورقهما من سانت دومينيك، شاهدتا اليخت راسياً في مكانه وعلمتا ان داهيون لورد عاد الى الجزيرة قبلهما. وعندما دخلتا البيت وهما تحملان حاجياتهما لم تجدا احداً. كانت الساعة تقارب السادسة فقررتا ان تذهب كل منهما الى غرفتها لتغتسل وتغير ملابسها استعداداً للعشاء. وقالت لويزا لإيما فيما كانتا تصعدان الدرج:

«لا تقلقي بشأن الليل. كاثري تهتم بها عادة عندما لا يكون احد منا هنا.»

شعرت ايما بالارتياح. فقد كانت على استعداد تام للعودة الى الجزيرة في وقت مبكر، الا ان لويزا اصرت على ان لا حاجة لذلك. وقبلت ايما ذلك بدون اعتراض او احتجاج لأنها شعرت بأنه لم يكن لديها اي يوم عطلة منذ وصولها الى الجزيرة قبل اسبوع.

استحمت بسرعة وارتدت فستاناً ازرق اللون ثم نزلت الى القاعة لتجد داهيون جالساً في احدى زواياها يشرب كأساً من العصير البارد. كان يرتدي بزة رمادية داكنة تضيف الى سمرته وجاذبيته الانيقة رهبة. رفع حاجبيه اشارة الى انه احس بحضورها، فوقفت لا تدري ماذا تفعل او تقول. وبعد لحظات، استجمعت شجاعتها وسألته بهدوء:

«هل امضيتما يوماً جيداً؟»

«اعتقد ذلك. وانت، هل امضيت يوماً ممتعاً؟»

«نعم. ذهبت ولويزا الى ناسو حيث ابتعنا بعض الأغراض.»

احنى رأسه قليلاً وهو يقول:

«كاثري ابلغتني بذلك.»

ثم اشار الى كرسي مجاور وقال لها:

«تعالي، سأحضر لك شراباً. ما رأيك بعصير التفاح؟ كنت احبه كثيراً.»

اعد لها الشراب واعطاها الكأس فأخذته شاكرة. ثم دخلت لويزا وبدأ الثلاثة بتناول العشاء، فيما كان داهيون يقول للشابتين الجالستين معه:

«بول باق بعض الوقت في سانت كاترين. سوف يعود في وقت لاحق.»

سألته لويزا عن رحلة اليخت والى اين ذهب. وارادت ايما ان تسأله عن

انابيل وهل قضت بنزهتها الطويلة. الا ان صبرها رفض الانصياع لأوامرها وقررت الا تتكلم كثيراً حتى تتمكن من السيطرة على نفسها واعصابها. وبعد العشاء اعتذر دايمون منها وتوجه الى غرفة المكتب. رفعت لويزا رأسها وقالت لانا بسماحة:

«اعتقد ان وجودنا لم يكن مفيداً على الاطلاق. الا تشعرين معي بذلك؟»

ثم ابتسمت واضافت قائلة قبل ان تنتظر جواباً:

«هيا، لنقم بنزهة خارج البيت. انها ليلة رائعة»

وافقتها انا على ذلك بدون تردد. لقد كانت فعلاً ليلة جميلة جداً وكان من الخطأ البقاء داخل البيت. لفت انا عنقها بوشاح خفيف، وسارتا نحو الشاطىء تستمتعان بالنسيم العليل وضوء القمر الساطع وانعكاسه البهيج على سطح الماء وكان واضحاً ان لويزا تريد التحدث بأمور خاصة. وقفت فجأة وقالت لانا بجدية قائلة:

«اريد تقديم اعتذاري الخالص لك. فقد تصرفت معك في اليومين الأولين لوصولك بطريقة سيئة وفظة للغاية، ولكني سأحاول الشرح...»

«لا حاجة لذلك مطلقاً»

«اعرف، ولكني سأخبرك. عندما اتيت الى هذه الجزيرة قبل عامين لاعطي انابيل دروساً تمهيدية ثم تنتقل الى اسلوب برايل في الحروف النافرة، تورطت عاطفياً مع كريس تورن. كانت غلطة سخيفة... اعرف ذلك، وكان علي بعد ان تجاوزت الثلاثين ان اتصرف بحكمة وروية. ولكنه جذاب للغاية، واعتقد اني بدأت اشعر باليأس»

وتنهدت لويزا ثم مضت الى القول:

«انها علاقة انتهت بالعنف. كنت اعلم بوجود زوجته عيانين، على العكس منك كما تبين لي في وقت لاحق. الا انني لم اهتم او اكترث. تعرفت اليها... انها باردة وقلبها قد من حجر، بينما كان كريس دافئاً وحنوناً... وطيباً»

وعبست ثم قالت:

«كم كنت سخيفة وغبية ورعناء! كريس كان يلعب بي، لعدم وجود

فتيات اخريات. وربما بالتأكيد لم اكن من الطراز الذي يعجبه. لم تدم علاقتنا طويلاً. فبعد حوالى تسعة اشهر تعب مني وربما يتطلع الى ضحية جديدة وانتصار جديد. هذه هي القصة الفاسدة بحذافيرها! اعتقد انك تظنين ان ما فعلته يدل على الانانية وحب الذات»

تنهدت انا وقالت بنعومة وهدوء:

«انا لست في موقف لاصدار احكام. ولكني آمل في ان نصبح الآن صديقتين مخلصتين»

ابتسمت لويزا بحرارة وعفوية وقالت:

«وطبعاً، طبعاً. لقد لاحظت منذ بعض الوقت انك انسانة طيبة جداً. ما رأيك في العودة الآن، ايتها الصديقة؟»

عادت الفتاتان الى البيت، كما عادت اليه الحياة العادية والنمط اليومي المعتاد. دايمون يمضي معظم وقته اما في مكتبه يراجع التقارير والوثائق التي تصله يومياً، واما على البحث مع بول، او في زيارة ابن عمه في سانت كاترين وكانت انابيل تراه لفترة قصيرة مساء كل يوم قبل ذهابها الى النوم. ولكن انا كانت تشعر بأن عليه تمضية المزيد من الوقت مع ابنته. ومع ان انابيل لم تتذمر كثيراً، الا ان انا احست بأن الطفلة الصغيرة مصابة بخيبة امل كبيرة لانه لم يظهر اي اهتمام بذكر تعلمها السباحة. كما انه لم يسبح معها ولا مرة في البركة.

وفي مساء اليوم الخامس، شعرت انا بأن عليها التحدث مع دايمون قبل فوات الأوان. لم تكن تعرف طول الفترة التي تنوي تمضيتها في الجزيرة، وبالاضافة الى احتياجات انابيل، فان انا تريد التحدث معه بشأن المواضيع الكثيرة المتعلقة بالطفلة وفقدانها النظر. وبعد العشاء تلك الليلة، توجه دايمون الى مكتبه فلحقت به انا ودقت الباب المغلق. مرت بضع لحظات قبل ان تسمعه يقول:

«نعم؟»

فتحت الباب ودخلت ثم اقفلته وراءها بحزم وثبات. كان دايمون يجلس وراء مكتبه يدرس بعض الوثائق. وبدا عليه الاستغراب عندما رفع رأسه وشاهد انا امامه. ازاح الاوراق جانباً ووضع يديه وراء رأسه ثم قال لها بتهكم:

«أوه، إذاً ماذا يمكنني أن أفعل لك؟».
«ليس لي، بل لآنابيل. أعتقد أنك تهملها كثيراً».
انقبض دايون في كرسيه وقال لها بعصبية:
«حقاً؟ وبأي سلطة تحدثينني فيها عن أعمالي وأخطائي؟».
«إنها الحقيقة. أمضيت يوماً واحداً معها من بين الأيام الخمسة التي مرت على وجودك هنا. إنها لا تتحدث كثيراً عن هذا الموضوع، ولكني أرى من خلال عينيها ونظراتها بأنها تشعر بالإهمال».
هب دايون واقفاً بحدة وانفعال وقال لها بلهجة ساخرة وقاسية:
«آنسة هارونغ، أنك تقومين بعملك بطريقة تثير الأعصاب. تحسبين على خبراء».
حدقت به إنها وقد أغضبها موقفه وتصرفه، وصرخت به بيأس واضح:
«ألا يهمك أن تحصل ابنتك على الحب والعاطفة الأبوية؟ هل مصاحبة أبي ضيك وأصدقائك الأكثر أهمية من طفلة واحدة صغيرة؟».
«احترسي من التحدث معي بهذه اللهجة أو هذا الأسلوب! أنابيل ليست بحاجة إلي ما دامت معها لويزا مربيتها، ومرنزي... وأنت بالطبع!».
انهمرت الدموع من عينيها وأحست بانقباض شديد. ولم تقدر على ضبط أعصابها فقالت له بتأثر بالغ:
«هذه سخافة! حقارة!».
قام دايون من وراء مكتبه واقترب نحوها بحدة وغضب. أمسكها بذراعيها وشدها بقسوة شعرت بأنه يكاد يحطمها. نظرت إلى عينيه فرأت الشرر يتطاير منها. وأحست فجأة بأن جسدها بدأ يخونها... يضعف أمامه، مع أن لسانه كان يلسعها كالسوط وهو يصرخ بوجهها قائلاً لها إنها آخر شخص يحق له التحدث عن احتياجات أي إنسان في الدنيا. حاولت التملص من قبضته بدون جدوى. فهو رجل قوي وكان يبدو عليه أنه يتمتع بعذابها ومحاولاتها المتكررة والفاشلة للتخلص منه. توقف عن الكلام ولكن عينيه ظلتا تقدحان شرراً. إلا أن الشرر هذه المرة كان مختلفاً... يتطاير من نار تشعلها مشاعر أخرى. أحست بموجة من الحرارة تلف جسمها، فتوقفت عن الحركة... وراحت تحدق به بوجوم غريب.

شدها نحوه ببطء وضمها إليه بقوة. ثم أمسك بخديها ورفع رأسها بإلهامه وعانقها برغبة جامحة. بذلت جهوداً خارقة كي تتمكن من عدم التجاوب معه، وشعرت بأنه يحاول ضبط أعصابه بصعوبة بالغة. توقعت أن يدفعها عنه بازدراء واحتقار، ولكنها لمست على ما يبدو إصراره وعزيمته، فظل يعانقها بقوة ويداعب ظهرها بأصابع مولانية، إلى أن ضاعت وما أن أحست بنفسها تغرق في بحر من العواطف الجامحة، حتى أبعدها عنه بوحشية بالغة اضطرتها للإمساك بأحد المقاعد كيلا تقع على الأرض.
شهقت بدهشة واستغراب وحدقت به لتواجهها نظرات حقد وكراهية. أحست بالخجل والعار والإذلال... لأنها لم تتمكن من إخفاء عواطفها نحوه. وسمعته يقول لها بخبث ومكر ظاهرين:
«شكراً لك. إني أشعر الآن برضى وارتياح تامين. لعل الرغم من غضبك مرات ومرات إلا أنك لست حصينة كالجليد كما كنت تريدينني أن أعتقد!».
«إنك حقير ومبتذل!».
«لا، بالتأكيد لا! أنا رجل ذو أحاسيس ومشاعر ورغبات. هل كنت تتصورين حقاً أني سأحتفظ لك بأي احترام بعد ذلك التصرف؟ لقد سرني وزاد عني جداً أن أزعزع هذه الواجهة الحزينة والكئيبة التي تتظاهرين بها أمام الناس!».
«هل يمكنني الذهاب؟».
«خارج هذه الغرفة، نعم. خارج سانت دومينيك، لا. فلديك ذنوب كثيرة يجب التكفير عنها».
كتمت شهقتها وفتحت الباب ثم مرت بسرعة نحو غرفتها. لم تعد تهتم بما يقوله أي إنسان عنها. تريد أن تختبئ... بعيداً عن سخريته اللاذعة وانتقاداته القاسية، وأكثر من ذلك كله... من لمسة يديه.

٨ - سباحة في الأعماق

كانت الساعة تشير الى السادسة والنصف فقط عندما استيقظ دايون صباح اليوم التالي. كان قلقاً ومتململاً. خرج من سريره متكاسلاً وتوجه الى شرفة غرفته المطلة على البحر، حيث وقف يتأمل يخته الجميل المسمى انابيلا، ابيض براق وحوله امواج خفيفة هادئة.

وأصغى دايون باهتمام الى اصوات العمال وعائلاتهم يعدون فطورهم فيما كان الأولاد يقفزون ويلعبون. ما احلى حياة القرويين! انها طبيعية وبسيطة وغير معقدة. وعاد به التفكير فجأة الى ما قالته ابها عن انابيل. اللعنة! لقد رفض تعليقاتها وملاحظاتها في الليلة السابقة بدون ان يعيرها اهتماماً يذكر. اما الآن، وهو يشعر بأن البحث يقرب برحلة بحرية طوال النهار، فقد بدأ يفكر بشيء من الذنب عما اذا كان حقيقة يهمل انابيل بسبب الذكريات المؤلمة التي يثيرها وجودها.

شتم غضباً واطفأ سيكارته التي اشعلها قبل لحظات ثم امسك سماعة الهاتف واتصل بابن عمه. واحس دايون وكأن وقتاً طويلاً انقضى قبل سماعه صوت كريستوفر يجيب متثائباً:

«نعم؟ من المتحدث؟»

«انا، دايون. ماذا تفعل؟»

«وماذا، بحق السماء، تعتقد انني افعل في السادسة صباحاً؟»

ثم اضاف بلهجة شبه حادة:

«انني في السرير طبعاً».

«الساعة الآن السادسة والدقيقة الخامسة والثلاثين. ما رأيك برحلة

اليوم على انابيلا؟»

رد عليه كريس بصوت ينم عن الاهتمام الحقيقي:

«فكرة عظيمة. هل قلت اليوم؟»

«ولم لا؟»

ثم مضى الى القول:

«هل يمكنك ان تكون جاهزاً خلال ساعة؟ سأحضر معي الطعام والشراب وغير ذلك من الأمور التي سنحتاج اليها».

«عظيم، عظيم! هل سيذهب بول معنا؟»

«اعتقد ذلك. الى اللقاء».

واعاد دايون سماعة الهاتف الى مكانها، متجاهلاً شعور الأنانية الذي غمره فجأة وبدون مبرر. انه هو والد انابيل... وهو الذي يقرر متى وكيف يرفه عنها!

وبعد ان احضرت روزا طعام الصباح، استهل دايون الحديث موضحاً له خططه لذلك اليوم. اعرب له بول عن استعداده وسروره لمرافقته في تلك الرحلة، ولكنه نظر الى دايون بحشرية وسأله:

«ماذا حدث ليلة امس؟ انها اختفت بعد العشاء مباشرة. هل رأيتها؟ كنت سأدعوها لمرافقتي في نزهة قصيرة حول الجزيرة».

«انها قابلتني ثم اختفت، على ما اعتقد، لتنام. هل كانت تعرف انك بانتظارها؟»

«لا، لا. ولكن ليس من عادتها ان تذهب الى فراشها باكراً».

وبدا عليه القلق قليلاً ثم اضاف:

«هل تظن انها مريضة؟»

«طبعاً انها ليست مريضة. بالمناسبة، اريدك ان تذهب بعد انهاء طعامك مباشرة لتتأكد من ان جوزف سوف يضع كمية كافية من قوارير الأوكسجين».

«حسناً».

قالها بول وهو يهز بكتفيه قلقاً ومستغرباً، فهذه هي المرة الأولى التي يشعر بأنه لم يتمكن فيها من اختراق ذلك القناع الذي يخفي وراءه دايون افكاره ومشاعره الحقيقية. ولم يتمكن بول من معرفة سبب ذلك.

كان دايون وحده يحتسي الفنجان الثالث من القهوة عندما دخلت ابنته انابيل. احست بوجود شخص آخر في الغرفة، فقالت:

«أبي؟ هل هذا انت؟».

قام دايون من كرسيه واتجه نحوها قائلاً وهو يمسك بيدها:

«نعم يا حبيبتي، وقد انتهيت لتوي من تناول فطوري. هل اكلت طعامك؟».

«نعم، شكراً».

«ماذا ستفعل اليوم يا أبي؟».

«سنلعب انا وروب وكريس للغوص تحت الماء. ماذا ستفعلين انت؟ كيف اصبحت في السباحة؟».

ردت عليه بهدوء تام:

«انني اسبح جيداً هذه الأيام. ولكنني لا اعرف ماذا سنفعل اليوم. سبحنا كثيراً وفي بعض الأحيان نذهب الى الشاطيء لجمع الصدف والأحجار الجميلة. واحياناً نكتفي بحمام شمسي والقيام ببعض الحركات الرياضية. ولكني اتمنى من كل قلبي ان تراني انت بنفسك كيف اسبح. ألا يمكنك ذلك، يا أبي؟ اعني... انني لا اراك الا قليلاً».

تنهد دايون، فاحمر وجه انابيل التي اصبحت تعرف مزاجه واسلوبه معها. وقالت بلهجة حاولت جاهدة اخفاء الحزن منها:

«اعرف، اعرف. انك مشغول جداً».

احس دايون بانزعاج شديد من نفسه وطريقة تصرفه معها. انها ابنته التي يحبها كثيراً... وهي تشعر بأنه مشغول جداً عن الاهتمام بها او تمضية المزيد من الوقت معها.

ركع على ركبتيه امامها وضمها الى صدره بحنان ومحبة، وقال لها:

«وماذا بالضبط تريد ان تفعله اليوم بطلتي الجميلة؟».

ردت عليه بلهفة وبدون تردد، وقد علت وجهها البريء ابتسامة كبيرة:

«اريد ان اذهب معك... كما فعلنا في اليوم الثاني لوصولك».

وتوقفت لحظة ثم سألته بلهفة واضحة:

«هل بامكان ايما ان تأتي معنا ايضاً؟».

«اسمعي الآن!».

وعض دايون شفتيه بقوة. ان يأخذ انابيل معه، فهذا امر طبيعي. اما مع ايما، فالوضع مختلف الى حد كبير. واكمل جمله محاولاً اقناعها بالتخلي عن طلبها:

«كنا، نحن الرجال الثلاثة، سنقوم برحلتنا البحرية بمفردنا. ولكني لا اجد اي مانع على الاطلاق من ذهابك معنا، ان كنت حقاً ترغبين بذلك. ولكن ايما قد تشعر بالانزعاج والحرج لوجودها مع ثلاثة رجال».

«ربما ستشعر بذلك».

ثم افتر ثغرها الجميل عن ابتسامة عريضة وذكية قائلة:

«ولكنها لن تكون معكم بمفردها، فأنا ايضاً سأكون هناك».

وتوقفت لحظة ثم اضافت:

«أبي، ألا يمكنك ان تدعو هيلين للانضمام الينا. انها لم تتعرف بعد على ايما».

«صحيح، انها لم تلتق بعد بايما. ولكنها قد لا تكون راغبة في الانضمام الينا. ربما ايما نفسها لا تريد الذهاب معنا».

«اذن لنسألهما! انت تتصل بهيلين وانا اسأل ايما. يمكننا ان نقيم حفلة رائعة ونمضي وقتاً ممتعاً للغاية. يمكننا الذهاب الى احد الخلجان الصغيرة الهادئة واريك هناك كيف اسبح».

تمنى دايون بعض الشيء لو انه لم يبدأ هذه المحادثة بكاملها. وقال لابنته بلهجة من غلب على امره:

«اسمعي! اذهبي الآن واسألي ايما عن رأيها في الموضوع. وانا سأنتظرك هنا».

«حسناً».

قالتها بسرعة وخرجت مهرولة قبل ان يجيب والدها عليه. وقف دايون مبتسماً وهو يشعر بشيء من الارتياح. فمن المؤكد ان ايما سترفض الذهاب معه بعد ذلك اللقاء العاصف الذي حدث بينهما في الليلة السابقة. ولكن انابيل عادت بسرعة ووجهها يشع بالبهجة والسرور. وقالت له وهي تقفز فرحاً:

«قالت ايما انها ستأتي معنا. قالت لي انها لن تتمكن من رفض طلبي».

«حسناً. سأتصل بكريس لأسأله عما اذا كانت هيلين تريد الانضمام

اليتا. ما رأيك؟».

«اذا كنت تعتقد ان ذلك ضروري فعلاً».

تذكر دايمون ولو متأخراً ان ابنته لا تحب هيلين كثيراً. فزوجة كريس تميل الى معاملتها كطفلة عاجزة في حين ان انابيل لا تريد شفقة احد. وما كانت مناشدتها اياه لاحضار هيلين الا لضمان موافقته على انضمام اليتا. ولكنه بالتأكيد يرفض تمضية يوم بكامله تكون فيه اليتا الامرأة الوحيدة. ولذا فقد رفع سماعة الهاتف وهو يقول:

«اعتقد ان ذلك ضروري يا تفاحتي الحلوة».

جلست انابيل قرب اليتا وكانت الطفلة الصغيرة تعرف ان الجميع سيمضون يوماً رائعاً، فمجرد وجودها على اليخت مع والدها واليتا، بالاضافة الى حمام شمسي والسباحة في فترة لاحقة، أدخل السعادة والبهجة الى قلبها. وكانت اليتا تشاطرها ذلك الشعور وهي تتكئ على احد اعمدة اليخت. الا انها لم تكن متأكدة من انه ستكون لديها الجرأة الكافية لخلع سروالها القصير وقميصها، على الرغم من اشتداد الحر. او تكون الامرأة الوحيدة بين ثلاثة رجال وطفلة.

ابلغتها انابيل ان بول سيذهب معهم، وكذلك كريس. وذكرت ان هيلين زوجة كريس، قد لا تنضم اليهم مع ان والدها دعاها الى ذلك. ثم اضافت وهي تحرك انفها وفمها بطريقة مضحكة:

«هيلين لا تحب النزهات البحرية كثيراً. ولكنها اذا علمت بوجودنا نحن، فانها ستأتي على الارجح... لمجرد المشاركة لا اكثر».

ابتسمت اليتا لاستخدام انابيل اسلوبها في التحدث عن الراشدين. ولفتت لو ان هناك اطفالاً آخرين كي تلعب معهم، لانها تعيش بصحبة البالغين طوال الوقت. وما هي الا لحظات حتى بدأ دايمون وبول يرفعان الاشرعة. فلماذا استخدام المحرك عندما يكون الطقس رائعاً والهواء مواتياً! وشعرت اليتا بانهم على وشك الابحار نحو جزيرة سانت كاثرين.

انها لم تلتق بعد بهيلين، واحست انها متضايقة من ذلك اللقاء المرتقب... خصوصاً انها ستضطر لرؤية كريس مرة اخرى. فهي لم تره منذ ذلك اليوم الذي قالت له ما تشعر به تجاهه. وتساءلت بصمت عما اذا كان ذلك النهار سيمر بنجاح وبدون عوائق ومشاكل كبيرة بسبب التيارات

القضية الصغيرة التي ستعصف بها!

وتحولت انظارها رغماً عنها الى دايمون. كان يرتدي سروالاً قصيراً وقميصاً يظهر منكبيه العريضين وصدره الواسع وعضلاته القوية والمتناسقة. وكان يزين معصمه بساعة ذهبية جميلة وتتدلى من عنقه سلسلة ذهبية تحمل ميدالية ذهبية صغيرة عليها رسم القديس كريستوفر. وتذكرت اليتا الميدالية وكيف كانت تغيظه بسببها في الايام السعيدة. وتطلعت نحو بول رفيقها الذي كان يرتدي ثياباً مماثلة، الا انه لم يكن اكثر جاذبية من رئيسه. ولاحظت اليتا باعجاب العلاقة القائمة بين الرجلين. فهما صديقان حميمان، كما ان بول يحترم رب عمله ويعجب به الى حد كبير.

وقالت انابيل، التي يزين خصرها طوق مطاطي ربط بالسياج المعدني لليخت تحسباً لأي طارئ:

«انها ستكون رحلة رائعة، اليس كذلك؟».

وشدت على يد اليتا ومضت الى القول بحماسة وعفوية:

«اوه، اليتا، اتمنى ان يكون كل يوم كهذا اليوم!».

شدت اليتا على يد الطفلة الصغيرة بحنان عائلي ولكنها لم تجب. وتحرك اليخت ببطء وهدوء بعد ان علا ارتفاع الاشرعة الكبيرة. وشعرت اليتا بالنسيم العليل يداعب شعرها، فرفعته الى الوراء وربطته باحكام كيلا يغطي وجهها بين الحين والآخر، ووضعت نظارة الشمس على عينيها واتكأت على مرفقيها بتكاسل ظاهر. وابتسمت... انه يوم جميل للغاية! وفجأة احست بأن بول جلس قربها وهو يقول بمرح:

«مرحباً! هل قال لك احد من قبل انك شابة جميلة وجذابة؟».

ضحكت واجابته على الفور:

«لا احد على الاطلاق. وانا لا اصدقك. انك احد اولئك الايطاليين الغزليين العاشقين الذين اقرأ عنهم دائماً».

احتج بول ضاحكاً:

«لا، اني اعني ما اقوله».

ثم اضاف بجدية:

«سنصل خلال دقائق معدودة الى سانت كاثرين. لا ادري ما اذا كانت هيلين ستنضم الينا ام لا».

ردت عليه انابيل وهي تضحك ضحكة نائمة تقريباً:

«سوف تأتي! اتصور ان مجرد رغبتها في مشاهدة ايفا سيحملها على المجيء. ايفا لم تذهب بعد الى سانت كاترين».

«صحيح، ايفا لم تذهب بعد!».

وحول نظره الى ايفا وسألها:

«لم لم تذهبي من قبل يا ايفا؟»

«لا سبب في ذلك. كل ما في الأمر انه لم توجه الي دعوة لزيارة الجزيرة».

بدا التشكك على وجه بول وقال:

«ولكنني ان احزر السبب. انه كريس، اليس كذلك؟»

«وماذا تعني بذلك؟»

«لا تقولي لي انك لا تعرفين عن مغامرات كريس العاطفية. مع لويزا، مثلاً».

ودرس ملامحها وانفعالاتها لحظة ثم اضاف:

«أهذا السبب كان ماعون غاضباً وساخطاً الى تلك الدرجة؟ وصلت متأخرة يوماً عن الموعد المقرر لك، وكان ابن العم في استقبالك. واحد مع واحد يساوي اثنين...».

«ربما حسناً!».

قالتها ايفا بلهجة جافة الى حد ما. ثم نظرت الى جارها وقالت له بجدية:

«يؤسفني ان اخيب آمالك، ولكنني لم التق كريس الا ذلك اليوم... ولم تقم بيننا بالتأكيد اي علاقة على الاطلاق».

«صحيح، ولكنه حاول مغازلتك. اني اقرأ ذلك في عينيك وملامحك. ولكنك كنت اكثر ذكاء واشد تعقلاً من لويزا. فعندما علمت انه متزوج ارسلته حتماً يجر اذيال الفشل والخيبة. صحيح؟».

سبقتها انابيل الى الاجابة، فقالت:

«هذا صحيح. ان كريس بعد يومين من وصول ايفا الى سانت دومينيك وطلب منا نحن الاثنين مرافقته، ولكن ايفا رفضت ذلك... وكانت تشتعل غضباً وسخطاً».

«اوه، انابيل!».

احست ايفا بالخجل لان موضوعاً خاصاً كهذا طرح فجأة على بساط البحث والمناقشة وبخاصة امام شاب غريب وطفلة صغيرة. وسمعت بول يرد بسرور وارتياح:

«عظيم. عظيم جداً!».

وشعرت ايفا بان شخصاً رابعاً يقترب منهم، فتطلعت لتجد دايمون واقفاً على بعد امتار قليلة يراقبهم بهدوء. انه بالتأكيد قادر على سماع احاديثهم، فماذا سيكون تعليقه على الموضوع او رد فعله عليه؟ الا انه لم يعلق بشيء على كلامهم، بل قال لبول بصوت هادئ:

«تعال وساعدني!».

قفز بول وغمز ايفا ثم لحق بدايمون مسرعاً.

وتوقف اليخت في سانت كاترين، فصعدت اليه هيلين نورث التي كانت النقيض التام لما توقعته ايفا. فقد تصورت ان زوجة كريس ستكون طويلة ونحيفة ومرهفة الاحاسيس، ولكنها كانت عكس ذلك الى حد كبير. فهيلين قصيرة القامة، مثلها تقريباً، ولكنها ممتلئة الجسم بشكل واضح. وكانت ترتدي ثياباً صيفية تظهر الجسم المترهل على حقيقته.

ورحب بها دايمون بشكل عابر. الا انه كان واضحاً ان عينيها ابتعدتا بعصبية وتبرم عن الامرأة الاخرى. ولما وقع نظرها على ايفا، النحيلة والجذابة، عضت على شفتها بارتباك ووجهت الى كريس نظرة قاتلة. وقالت ايفا لنفسها ان كريس ربما اخبر زوجته عن مربية عانس في اواخر الاربعينات من عمرها، املاً في الا تلتقي بها ابداً. هذا هو كريس، وهذا هو اسلوبه!

تم التعارف بسرعة وايجاز... وفي هذه الاثناء كانت انابيل صامتة لا تتفوه بكلمة واحدة. وعرفت ايفا السبب عندما شاهدت هيلين تقترب منها بعد بضع دقائق وتقول لها:

«مرحبا يا حبيبتي. كيف حالك؟ هل تشعرين انك افضل قليلاً هذا اليوم؟ من المؤكد ان هذا الهواء النقي سيساعدك كثيراً».

تنهدت انابيل وردت قائلة:

«انني مرتاحة ومسرورة جداً، يا هيلين. شكراً».

ثم اضافت بابتهاج متعمد:

«لم اشعر في أي يوم مضى بالفشل كما اشعر به اليوم».

علقت هيلين على كلامها بمكر وخبث واضحين:

«انك حقاً فتاة شجاعة . . . تأتين في رحلة بحرية كهذه وانت لا تعبرين لو تعرفين السباحة».

شعرت ايما بانزعاج وانقباض شديدين، فتدخلت قائلة:

«انابيل تسبح جيداً. انا علمتها».

نظرت اليها هيلين ببرودة وقالت:

«هل فعلت ذلك حقاً؟ كنت اتصور انك مرضتها لا رفيقتها او مدرستها».

«انابيل وانا صديقتان حميمتان. انا استمتع جداً برفقة بعضنا. وبما اني احب السباحة، فقد شعرت بانها هي ترغب بذلك وسرني جداً انني دربتها ونجحت».

«ولكن الا تعتقدين ان السباحة هواية خطرة بالنسبة الى فتاة صغيرة عمياء؟».

وسمعت ايما صوتاً وراءها يجيب قبلها:

«اعتقد ان ايما تعرف اكثر منك يا هيلين في هذا المجال».

انه داڤيد . . . وقد هب للدفاع عنها. ايما لا تصدق اذنيها. ولكن هيلين لم تستسلم، اذ قالت لداڤيد باستغراب مصطنع:

«اوه، داڤيد! انك نادراً ما تأتي الى ساحات دومينيك، ولذا اشك كثيراً في انك تعرف مشاعر الطفلة على حقيقتها».

وجلس داڤيد قريبين ولمست ركبته ذراع ايما فأحست بموجات كالصدمة الكهربائية تسري في عروقها وعظامها. ابعدت ذراعها بسرعة وبطريقة لا تلفت النظر. وسمعت داڤيد يرد على تلك الملاحظة القاسية قائلاً:

«ربما لا اعرف. ولكنني انا كنت اعرف قليلاً، فانت تعرفين اقل. وعليه، ارجو الا ندخل في جدال عقيم في يوم جميل كهذا. انني مسرور يا هيلين لأنك قررت الانضمام الينا، فالتغيير يفيدك كثيراً».

أرسى داڤيد اليخت خلال فترة الغداء قرب شاطئ احد الخلجان الصغيرة، حيث توجد صخرة ضخمة ترتفع عن سطح الماء عشرات

الامتار وفيما كانت ايما تتطلع باعجاب الى تلك الصخرة العملاقة، اقترب منها كريس وتحدث معها للمرة الأولى ذلك اليوم:

«يسمونها حجر مينرفا. انها تشكل شيء للدهشة والاعجاب، أليس كذلك؟ وهي ايضاً مركز رائع ومغر للقفز الى الماء».

ردت باستغراب واضح متسائلة:

«هل يقفز احد فعلاً من هذا العلو الشاهق؟».

«بعض الاشخاص، نعم قليل طبعاً. واعترف بأنني لست منهم».

وارغمها على النظر اليه عندما سألها كطفل مذنب:

«هل غفرت لي؟».

ابتسمت ايما ابتسامة خفيفة وقالت:

«يجب الا اغفر لك ابداً».

«ولكنك غفرت».

«أوه، اعتقد ذلك. هل انت متزوج منذ فترة طويلة؟».

«منذ عشر سنوات. كنت آنذاك في العشرين بينما كانت هي في الخامسة والعشرين».

«اوه!».

استدار كريس الى الجهة الاخرى ونظر اليها بعينين مداعبتين وهو يقول لها:

«بعد الغداء سيذهب داڤيد وبول للغوص تحت الماء. فما رأيك ان تنضمي اليهما؟»

ارتجف جسمها وقالت له:

«الغوص ليس من هواياتي المفضلة. ثم، علي الاهتمام بانابيل».

«انابيل ترتاح عادة بعد الغداء، وانا سأعلمك على الغوص».

«لا اعرف . . .».

وترددت. انها ترغب في تعلم الغوص تحت الماء ولكنها تخشى مرافقة كريس. هيلين تراقبها بعينين كعيني الصقر . . . وقد تظن انها سارقة ازواج! وفي تلك اللحظة وصل داڤيد وسألها:

«هناك كميات كبيرة من المأكولات والمرطبات في القمرة. هل تريدان تناول الغداء هنا؟».

وعرفت ايما انه لا يوجه الحديث اليها مع انه استخدم صفة المثنى تأدباً. احنت رأسها قليلاً كي تتجنب نظراته، فسمعت كريس يقول بلهفة:
«اوه، دايمون، شكراً. الغداء هنا افضل سأذهب حالاً لاحضار الطعام».
وفور ذهابه، سألها دايمون بصوت منخفض وآمر:
«ماذا كان كريس يقول لك قبل لحظات؟».
«انه. . . طلب. . . طلب مني مرافقته للغوص تحت الماء، عندما تكون انابيل مرتاحة بعد الغداء».
واحمرت وجنتاها وهي تضيف بحياء:
«لا تقلق! لم اوافق على طلبه. اعتقد انك لا تريدني ان العب معه، وهذا امر يناسبني تماماً».
«اللعنة! ان لديك حقاً اعصاباً فولاذية؟ اسمعي يا ايما، اياك ان تعامليني كطالب مراهق لا يفهم شيئاً!».
ثم نظر نحو حجر ميرفا وسألها:
«هل تعرفين الغوص تحت الماء؟».
«لا».
ونظرت الى ناحية اخرى فأمسك كتفها بقوة وادارها نحوه، ثم سألها:
«وهل تريدين التدرب على ذلك؟».
تنهدت ايما وسألته بهدوء:
«ولماذا تقلق؟».
«حسناً. انا سأعلمك بنفسي. يمكنك ان تقولي ذلك لابن العم عندما يسألك مرة اخرى».
لم تكن ايما جائعة اثناء الغداء، فافكارها منشغلة بالفترة التي ستمضيها مع دايمون في وقت لاحق. الفكرة مثيرة... ولكن اعصابها اصبحت مشدودة كأوتار العود. ألهت نفسها قليلاً بتأمل السماء والبحر حتى انتهى الجميع من تناول غدائهم. وعندئذ اخذت انابيل الى السرير المخصص لها، ثم عادت لتنضم الى الآخرين. ولما اعربت هيلين عن رغبتها في البقاء على ظهر اليخت نزلت ايما والرجال الثلاثة الى الزورق الصغير الذي سيقلهم الى الشاطىء الرملي الجميل.

خلع الرجال قمصانهم وسراويلهم التي يرتدونها فوق ثياب السباحة. استجمعت ايما شجاعتها وقوة ارادتها وقامت بخطوة مماثلة كشفت عن جسم جميل تغطي مفاتنه قطعتان صغيرتان. وتجاهلت ايما نظرات الاعجاب والرغبة التي رمقها بها بول وكريس.
احضر الرجال الاجهزة اللازمة من الزورق. وخلال لحظات، كان كريس وبول قد اعدا نفسيهما وركضا نحو الماء. وبعد بضعة امتار، رفعا رأسيهما قليلاً واندفعا بقوة نحو القاع ليختفيا عن الانظار بسرعة مذهلة.
نظر دايمون الى وجه ايما المشدوه وقال لها وهو يبتسم نصف ابتسامة:
«عملية سهلة، أليس كذلك؟ انها في الحقيقة ليست صعبة على الاطلاق، ما دمت لا تنزلين الى عمق كبير. تعالي لأساعدك في حمل القارورة».
كانت ايما ترتجف وهي تضع قدميها في اثنتين من الزعانف المطاطية التي تساعد السابح على التحرك بسرعة اكبر. سألها دايمون وهو مقطب الحاجبين:
«هل تشعرين ببرد؟ اذا كان الامر كذلك، فالافضل الا تنزلي الى الماء».
«انني لا اشعر بالبرد، ولكنني خائفة قليلاً».
«وانت معي؟».
«وان يكن!».
«لن ادعك تغرقين نفسك، ان كان هذا ما يقلقك ويخيفك».
وقفت ايما بصعوبة نظراً لاستخدامها الزعانف المطاطية للمرة الأولى، واحتملت تأمله لحين انتهائه من اعداد نفسه، فهي احست بأن انزعاجها الناجم عن شعورها بقربه منها واهتمامه بها يتزايد بسرعة وباستمرار. انها لم تره في ثياب البحر من قبل. وتساءلت بصمت كيف سيكون تفكيره ورد فعله لو عرف مدى رغبتها في ضمه اليها بقوة وحنان. احتقرها وادانها لأنه اعتقد بانها لا تبالي كثيراً بوجوده ولا تشعر بشيء نحوه. وسألت نفسها بأسى عما اذا كان يحق له ان يشعر تجاهها بكل هذا الغضب وهو الذي سارع الى الزواج من الزابيت بمجرد انفصالهما عن بعضهما!
ولما اصبحا جاهزين، التفت نحوها وسألها:
«حسناً، هل انت مستعدة؟».

«كأفضل ما يكون عليه الاستعداد».

بعد فترة قصيرة من نزولها الى الماء، شعرت ايما بانه لم يكن اي داعٍ على الاطلاق للخوف والقلق. فالعملية كانت سهلة جداً وقد فتحت لها آفاقاً جديدة ممتعة. انه عالم آخر من الجمال والروعة . . .

ظلت ايما في هذا السحر بعض الوقت. وعندما احست بأن رجليها تعبتا، خشيت ان تتشنجا وتتوقفا عن الحركة، فسارعت الى الشاطىء، حيث وضعت عدة الغوص واستلقت قربها على الرمال الدافئة وهي مغمضة العينين.

تبين لها عندما فتحت عينيها انها نامت فترة من الزمن. فقد كان دايون جالساً قربها يشد سدادة قارورة الاوكسجين، فيما كان بوب وكريس يقفزان الى الماء من على صخرة تعلو حوالى عشرة امتار بعد ان احضرا اجهزتهما الى الشاطىء. اتكأت على مرفقيها وسألت دايون بلهفة:

«هل مر وقت طويل وانا نائمة؟».

نظر اليها واجابها بهدوء:

«حوالى ربع او ثلث ساعة لا غير. اعتقد انك كنت مرهقة، فالانسان يحتاج الى بعض الوقت قبل ان يعتاد على الغوص والبقاء طويلاً تحت الماء».

ثم ابعد القارورة الفارغة وسألها:

«هل تريدين سيكارة؟».

هزت برأسها واجابت:

«نعم، شكراً».

وادهشها انه اشعل السيكارة بنفسه قبل ان يعطيها اياها. اخذتها منه مكررة شكرها ثم سألته:

«كم الساعة الآن؟».

«بعد الثالثة بقليل. ارتاحي! اذا استيقظت الليل، فبامكانك عندئذٍ الاهتمام بها قليلاً».

ثم ابتسم واضاف قائلاً:

«اعتقد انه لم تكن لديك اوقات فراغ معتبرة منذ وصولك حتى الآن».

«انني كل مساء».

«نعم، ولكن امسياتك هي لك اصلاً ولا يمكن اعتبارها اوقات فراغ.

اعني ان كل موظف يحق له يوم واحد على الأقل كاجازة اسبوعية».

«حسناً. انا اشكرك».

سحبت ايما رجليها وطوقت ركبتيها بذراعيها ثم وضعت رأسها فوقهما واغمضت عينيها. اما دايون فقد استلقى على ظهره وسألها فجأة:

«اخبريني يا ايما! لماذا بالضبط قطعت علاقتنا؟».

صعقت بسؤاله المفاجىء وغير المتوقع. لم تكن مستعدة لسؤال كهذا، فاجابته بتوتر ملحوظ:

«انت تعرف السبب».

«دعيني اصحح كلامك. انا اعرف ماذا قلت لي انت. . بأن شخصاً تزين لك فجأة لذلك. انكِ تهتمين بمشكلة».

احست ايما بأن جسمها كله، وليس وجهها فقط، احمر خجلاً. ترددت لحظة ثم قالت له:

«هل من الضروري ان نبحث الموضوع الآن؟ اعني انه وقتاً طويلاً . . .».

ودّت لو ان بامكانها رؤية عينيه وقراءة تعابيرها. واحست بشكل قاطع انه تعمد وضع نظارته السوداء على عينيه كي يصبح في موقف متميز. وسمعته يتمتم بلهجة ساخرة:

«نعم، اعتقد ذلك. فانا . . . انا هو الشخص التي تركت بجهلك له ونبذته كخرقة بالية».

«اوه، توقف! توقف! كنت مستاءة وحزينة جداً لدرجة انك سارعت للزواج من الزابيث كينغزفورد ولم يمض على انفصالنا سوى عشرة اسابيع!».

ويبدو انها اصابت وتراً حساساً لديه. فانتزع نظارته بعصبية فائقة وحدق بها بعينين باردتين غاضبتين تقدحان ناراً وقال لها بحدة وعنف:

«اريد الحقيقة يا ايما، واقسم لك بأنني انوي فعلاً التوصل اليها».

«لا اعرف ماذا تعني».

الا ان محاولتها لصم اذنيها عن سماع كلماته باءت بالفشل، اذ جاءت كلماته التالية تحمل بين طياتها سخرية باردة اسوء من اي غضب عارم:

«نعم، تعرفين. لم يكن هناك اي رجل آخر. أليس هذا صحيحاً؟».

«وحتى لو كانت ثمة رجل في حياتك، فأين هو؟ لا يا ابنة، لم يكن هناك احد، ولكنك انت اعدت النظر في الموضوع. كنت في الثمانية عشرة بينما كنت انا في السابعة والثلاثين، اي ما يزيد على ضعف عمرك! ألم تخجلي بأنك كنت تعتبرينني عجوزاً بالنسبة اليك؟ في عمر والدك تقريباً؟»

«لا!»

خرجت تلك الكلمة من فمها كسهم مخترق وحدقت به بعينين زائغتين معذبتين وهي تتمتم بعصبية بالغة:

«لا، لا، لا! هذا ليس صحيحاً ابداً!»

نظر اليها دايون بعينين مشككتين، فابعدت وجهها عنه بذل وانكسار انه لن يصدقها على الاطلاق! وشاهدت كريس وبول يقتربان منها وهما يلوحان بأيديهما فشعرت بالارتياح. اذ ان وجودهما سيحول على الاقل دون استمرار هذا الحوار المزعج. ولما سألها بول اذا كانت تريد السباحة معه، قفزت بسرعة شاكرة له دعوته وركضت امامه نحو الماء.

كانت السباحة منعشة جداً لها، وعوض سرور بول الواضح برفقتها عن غضب دايون وتصرفه العنيف معها. وأخذها بول الى المكان الذي صعد منه وكريس الى حافة صخرية ثم الى ما يشبه درجاً صخرياً يقود الى قمة في تلك الصخرة العملاقة كانا يقفزان منها قبل قليل. وسألها بول مشككاً:

«هل يمكنك الغطس من هناك؟ لا تحاولي الا اذا كنت متأكدة من قدرتك على ذلك».

ثم ابتسم بتحد واضاف قائلاً:

«يمكنك انتظاري هنا».

«اوه، لا! لا اريد الانتظار. لقد غطست عدة مرات في حياتي، وانا متأكدة من انني سأكون بخير».

«حسناً».

ابتسم بول وشد على يدها ثم سألها:

«هل تعرفين ان دايون كان يقفز من قمة الصخرة عندما كان بالطبع اصغر سناً؟»

نظرت ايما الى القمة وهي تهز برأسها غير مصدقة، فإن العلو شاهق

جداً. وسألته بجدية:

«أليس ذلك خطراً؟»

«ليس الى الحد الذي تتصورين، وخاصة مع خبراء القفز. الا ان الخطر يكمن اثناء القفزة نفسها بحيث يضطر الانسان للمحافظة على توازنه. فاذا اختل التوازن، يمكن للانسان ان يكسر ظهره... او يدق عنقه».

ارتعدت ايما برغمها بعصبية. فتصورت دايون وهو مصاب بجروح بليغة رهيبة او بشكل دائم، فهو امر رهيب ومروع. ثم بدأت تصعد مع بول الى تلك المنصة الحجرية الطبيعية للانقضاض منها الى سطح الماء. وبعد حوالى نصف ساعة، انضم اليهما كريس فيما توجه دايون بزورقه الى البحث واحضر انابيل وهي ترتدي ثياب السباحة. ولعب الجميع على الشاطئ، وسبحوا. وكانت انابيل تختال كالطاووس بعد كل مرة تسبح فيها لتضع دلالها. وبعد فترة من الزمن، عادوا جميعاً الى [illegible] حيث تناولوا بعض المرطبات ورجعوا الى سانت كاترين وسانت دومينيك.

وفي طريق العودة، جلست هيلين بين ايما وانابيل وسألت الكبيرة منهما:

«كيف حصلت على هذه الوظيفة يا آنسة هارديغ؟ هل انت مرضة اطفال؟»

هزت ايما رأسها واجابت بهدوء:

«لا. كنت مرضة في احد مستشفيات لندن، ولكن فرصة تمضية اشهر في جزر البهاما كانت فرصة ذهبية لم ارد تفويتها».

وقالت ايما لنفسها ان الوضع الحقيقي تغير بصورة جذرية. فبينما كانت مسألة استخدامها في البداية امراً مزعجاً ومذلاً للغاية، اصبحت مهمتها الآن ممتعة الى حد كبير... على الرغم من بعض المواجهات المملة مع دايون. وشعرت بأنها اصبحت تفضل البقاء في البهاما اكثر من لندن. ولكن دايون فقط يظل ذكريات من الماضي تداعب قلبها وعواطفها. وسمعت هيلين تسألها بحشرية واضحة:

«اذن، كيف اختارك دايون لهذه المهمة؟»

«انا... انا تقدمت اليها عندما قرأت اعلاناً عنها».

«هل اعلن عنها؟ هذا امر غير مألوف بالنسبة الى دايون. فهو يطلب عادة من احدى الشركات او الوكالات المتخصصة استخدام

مرهقيه.

احمرّ وجه ايما واضطرت للمضي في كذبتها البيضاء، فقالت:
وفي هذه الحالة اعلن عن الوظيفة مباشرة.

٩- السارقة!

خصص دايمون الأيام القليلة التالية بكاملها لأنابيل. وشعرت ايما بأنها كشخص اضافي لا ضرورة له، لأن دايمون تولّى جميع المهام التي كانت تقوم بها. وتمكنت ايما من البقاء وراء الكواليس طوال هذه الفترة، الا انها لم تعزل نفسها تماماً عن الآخرين. فقد اخذها بول الى ناسو بعد ظهر احد الأيام، وكانت رحلتهما ستطول الى ما بعد العشاء لولا انها اصرّت على العودة لان انابيل قد تكون بحاجة اليها. اما السبب الاساسي لرفضها فهو احساسها بأن بول يريد علاقة أوثق من مجرد الصداقة العادية. ومع انه يعجبها كثيراً لكن لم يكن لديها اي اهتمام شخصي به، ولا تريد بالتالي التصرف عكس ذلك.

استلمت رسالة من شقيقها جيري أزعجتها قليلاً. فهو يجد صعوبة على ما يبدو في التأقلم مع وضعه الجديد وفي رعاية اموره الحياتية. وقارنت ايما بين حياتها في لندن وتلك في سانت دومينيك، فبدت الأولى باردة وتركز عطفها على عملها في المستشفى.

وفي صباح مبكر، بعد ثلاثة ايام، غادر دايمون وبول الجزيرة بالطائرة المروحية. وعلمت من تانزي انهما توجها الى الولايات المتحدة لاكمال صفقة عامة هناك. بعد ذهابه، تغيّر كل شيء. فمجرد وجوده في البيت اضفى نوعاً من الحيوية والنشاط الى الاعمال اليومية للعائلة. اما الآن فان المكان يبدو خالياً... مهجوراً.

تأثرت انابيل لسفر والدها ولكنها كانت في الوقت ذاته مسرورة جداً لأنه اظهر مثل هذا الاهتمام الفائق بها خلال الأيام القليلة الماضية. سبح

معها، لعب معها، قرأ لها، واخبرها قصصاً وطرائف مسلية. ووجدت انها صعوبة في تغطية الفراغ الكبير الذي خلفه رحيله، مع ان انابيل اصبحت تحبها وتتعلق بها الى حد كبير.

بعد اسبوع من ذهاب دايون، تسلّمت ايما وانابيل دعوة لشخصية لفترة ما بعد الظهر في منزل كاثرين. دهشت انابيل وتذمرت عندما ابلغتها ايما بأن عليهما قبول الدعوة، ولكنها وافقت بتردد في نهاية الأمر وتوجهتا بالزورق السريع الى الجزيرة المجاورة.

لم يكن منزل هيلين كما توقعت ايما على الاطلاق. فالمكان بعيدة عنه كل البعد، وكأن احداً لا يراقب الخدم او يشرف على عملهم. كما تنتشر في غرفة الاستقبال، هنا وهناك، اعداد كبيرة من الكتب والصحف والمجلات. وقد اختفى كريس نفسه على ما يبدو في غرفة مكتبه، حيث كانت ايما تسمع صوت الآلة الكاتبة بوضوح. وحاولت هيلين جاهدة ان تظهر الود واللباقة تجاه ضيفتها، الا ان ايما شعرت بأن مضيفتها كسولة جداً اذ تترك بيتها ونفسها على تلك الحالة الزرية. فثيابها ليست مرتبة ابداً وشعرها على ما يبدو لم يغسل منذ عدة ايام، وكانت هيلين تحرك باستمرار كما فعلت معظم الوقت خلال الرحلة البحرية. وبعد ساعتين تقريباً، غادرت الضيفتان بالارتياح الشديد لأن الوقت قد حان لعودتهما الى منزل دوميتيك. وظنت انها لا تضطر لتكرار هذه الزيارة ابداً.

ومضت الايام التالية ببطء وتكاسل. كانت ايما ترسل خلالها عدة رسائل لاخيها وتتسلم منه بين الحين والآخر بعض الاجابات المقتضبة. ولم يكن يشغلها سوى قلقها تجاهه.

وفي سان فرانسيسكو... كان دايون تورنر يشعر بالانقباض والازعاج. مضت ثلاثة اسابيع كلفت على عودته الى هذه المدينة الاميركية انهى خلالها الاعمال التي اتى من اجلها. وسوف يتوجه في اليوم التالي وبرفقته بول رتشي الى لندن. الا ان العمل لم يكن سبب انقباضه وضيقه. فعلى الرغم من تركيزه المكثف على اشغاله واعماله، الا انه لم يتمكن من طرد اي هاربين من افكاره. واصبح عصبي المزاج يثور لأدنى سبب. حتى ان بول لم يعد قادراً على التصرف معه الا بهدوء وحذر بالغين.

كان يقضي معظم امسياته في تلبية دعوات الى العشاء والسهرة مع

زملائه واصدقائه الذين يريدون لقاءه اثناء وجوده في المدينة. ومع انه كان مهذباً ولطيفاً ومرحاً مع الآخرين، الا انه ينقلب الى انسان آخر عندما يكون بمفرده. كان حزيناً ومتضايقاً، ويعرف ان بول لن يقدر على تفهم السبب الحقيقي لذلك. اندفع اكثر من مرة لابلاغ صديقه ومساعده المخلص عن علاقته السابقة بايما، وليكشف له بالتالي سر تصرفاته الغريبة هذه. ولكن دايون تورنر ليس ذلك الرجل الذي يسعى الى اشفاق احد... وخاصة عندما يشعر بانه يتصرف برعونة وغباء.

وشتم نفسه بغضب وهو يمشي بعصبية في غرفته بفندق رويال باي. لماذا يصر عقله على محاولة ايجاد سبب لتخلي ايما عنه قبل سبع سنوات؟ لماذا لا يمكنه ان يقبل بما قالت له؟ ولكن نقاطاً كثيرة توقف عندها عقله العلمي والمنطقي مرات ومرات. فعندما اعلنت عن رغبتها في تلك الخطبة، شعر بأنه ويمحط شديدين لدرجة انه عجز تقريباً تماماً لمراقبة تحركاتها والاطلاع عليها بساعة فساعة. واكتشف آنذاك انه لا وجود لأي رجل آخر في حياتها، بالرغم من اصرارها الشديد على ذلك. وتأثر جداً عندما افترض بأن اسباب انسحابها تعود اليه وحده... الى سنه، مظهره، شخصيته...

وزاد احتقاره لنفسه. فالآن، وبعد تصرفاتها تلك معه، لا يزال يشعر برغبة قوية تجاهها. وتذكرها قربه على الرمال امام عصير ميرا فثارت مشاعره الناقضة. اشعل سيكاراً وجلس في مقعد قريب من النافذة. سمع طرقة خفيفة على الباب، فقال بشيء من الغضب:

«ادخل!»

دخل بول واغلق الباب وراءه، فيما كانت تعلو وجهه ابتسامة عريضة. اخذ علبة سكائره من جيبه وقال:

«لديك زائر لا تتوقع حضوره البتة!»

واشعل سيكارته ثم اضاف بخبث:

«السيدة اماي بن لوينغ!»

«لابد تمزح!»

«آسف، ولكني لا امزح. كنت اشتري علبة سكائر عندما اقتربت مني وسألتني عما اذا كنت ستمضي بعض الوقت في المدينة. فأخبرتها بالطبع اننا متوجهان غداً صباحاً الى لندن»

«طبعاً! ثم ماذا؟».

«دعتنا لتناول فنجان من الشاي معها».

«اللعنة! وهل هي في المطعم الآن؟».

«نعم، ومن الأرجح انها ستظل هناك الى ان تنضم اليها».

وقف دايمون بحدة وقال:

«هذا آخر شيء أريده الآن. كنت اريد تناول الطعام».

هزّ بول كتفيه واقترح عليه ان يطلب طعامه الى الغرفة. ثم اضاف قائلاً:

«لقد اشاركك الطعام هنا».

«لست في مزاج لمثل هذه الحفلات الانفرادية. اريد ان اكون بين الناس، فوجودي وحدي يضايقني ويحزنني».

«حقاً، يا دايمون! انك تتصرف بطريقة غريبة منذ مغادرتنا الجزيرة!».

«ليست هناك اي مشكلة على الاطلاق».

قالها بلهجة مشجعة وهو يتظاهر بالابتسام. ثم اضاف:

«هيا يا بول، لننزل الى القاعة الرئيسية. هناك كثيرات من اللواتي تعرّفت عليهن في حياتي أسوأ من هذه الانسانة بكثير».

تنهّد بول وهو يشعر بالفشل مرة اخرى من اختراق ذلك القناع غير المرئي الذي يرتديه دايمون على وجهه. ثم توجّه الى غرفته وارتدى سترة وزين عنقه بربطة جميلة، قبل ان يعود الى غرفة دايمون للنزول معاً الى بهو الفندق. كان المطعم يعجّ بالناس، الا ان السيدة العصبية كانت على ما يبدو ترقب وصولهما. فبمجرد دخولهما التفتت اليهما مبتسمة وقالت:

«آه، سيد ثورندا! اني في غاية السرور لأنك تمكنت من الحضور».

وما ان قدم دايمون بجواب مهذب، حتى سارت امامهما الى ركن منعزل في القاعة الضخمة التي تنيرها اضواء ساطعة. وفيما كانوا يطلبون ما يريدون، اخذت تساي تتأمل دايمون بهدوء وتمعن. كانت تبدو عليها ملامح القلق وعصبية لم يلحظها دايمون من قبل... كانت تتحدث بشيء من القلق والترقب وكأنها تبحث عن شيء ما، او شخص ما. وسألته:

«هل تأتي كثيراً الى سان فرانسيسكو يا سيد ثورندا؟».

هزّ دايمون كتفيه مرة اخرى وأجابها بهدوء:

«هذا يعتمد على عدة أمور. فعندما تكون لدي اعمال كثيرة اظل هنا احياناً عدة اسابيع، بينما في اوقات اخرى لا امضي سوى ليلة واحدة».

«وهل تلعب مراراً الى لندن؟».

ضاقت عيناه قليلاً وهو يحاول تحليل الاسباب التي تدفعها للاهتمام بتحركاته وتنقلاته، فهو لا تقبل ابداً الرد على اسئلة تتعلق بها شخصياً. رد عليها بدون ان ينظر اليها:

«امضي احياناً بعض الوقت في لندن».

تدخل بول وسألها:

«وماذا عنك انت؟ هل تنوين البقاء طويلاً في سان فرانسيسكو؟».

هزّت رأسها وهي تجيب بهدوء مصطنع:

«ربما، وربما لا. هذا يعتمد على ما اذا كانوا سيسمحون لي بذلك او يرفضون».

اجابها بول بشهامة كاذبة وهو ينظر اليها محاولاً اعطاء سخريته:

«انا متأكد من انه لا احد يمكنه الاعتراض على بقاء سيدة جميلة مثلك».

«اوه، شكراً لك يا سيد ريكيل، فهذا كلام لطيف ومشجع. ولكني آسفة جداً لان المسؤولين في مكتب الهجرة لا يعيرون اي اهتمام للمظاهر والاشكال».

علّق دايمون ببرودة:

«يمكن للمظاهر ان تكون خداعة جداً».

اجابته تساي بن لونغ بحدة:

«انها العيون على ما اعتقد. اذ يمكن للانسان الذكي ان يكتشف عدة امور بمجرد النظر الى عيون الآخرين».

أخرج دايمون علبة سكائره وهو يقول لها:

«واذا كان الانسان أعمى، فماذا يفعل؟».

«انت لست اعمى يا سيد ثورندا».

فتح علبته وقدمها لها وهو يجيبها:

«صحيح. وهل قلت ذلك؟».

شربت جرعة من الشاي وهزّت رأسها، ثم اخذت سيكارة ووضعتها

بين اصابعها بعصبية.

وما انتبه الى انها لا تزال تنتظر منه ان يشعل لها سيكارتها، اخرج قداحته بسرعة فوقعت من يده. نظر اليها وهو يعتذر منها، فشاهد مسحة من الرعب تعلو وجهها. كانت نظراتها تتركز على مكان ما وراءه، ولكنه عندما استدار بسرعة الى الوراء لم يشاهد شيئاً ملفتاً للنظر. تطلّع فيها مرة اخرى ثم نظر الى بول الذي بدا انه لم يلاحظ شيئاً على الاطلاق، اذ كان غارقاً في حديث عن كرة القدم مع رجل يجلس بجوارهم.

جبس دايون ثم تذكر قداحته فانحنى لالتقاطها. اوقفته السيدة العصبية قائلة وهي تنحني لاستعادة القداحة:

«اسمح لي!».

تطلّع دايون حوله مرة اخرى بعد ان اشعرته حاسته السادسة بوجود شخص يراقبه... او يراقبها. انه لامر سخيف! ولكنّ شخصاً ما في هذا البحر من الرجال والنساء اخاف الفتاة. لماذا؟ من هناك في هذه المدينة يمكن له ان يخيفها ويرعبها على هذا النحو الواضح؟ وفجأة، سمعها تقول له وهي تهم بالوقوف:

«اعذرني! ان الامر خطة! اريد الاغتسال ان تسمح لي».

وقف دايون احتراماً ثم عاد الى الجلوس... والتفكير. ماذا يهمه منها وما تفعله؟ سأل نفسه متحاذقاً وغاضباً، الا ان الجواب جاءه بسرعة وبدون تردد. فمع انه غير مهتم بها الا ان خوفها بدأ يقلقه ويزعجه. انها انسانة مستضعفة على ما يبدو، وهو بطبيعته يحترم الانسان. وقرر انه يدعوها الى العشاء، بمجرد عودتها. فلربما عندئذ سيخبره بما يرعبها ويقض مضجعها. اخذ سيكارة واراد اشعالها، الا انه لم يجد القداحة. اللعنة! لقد اخذتها تساي بن لونغ بعد ان تبرعت بالتقاطها عن الارض.

وتطلع حوله بعصبية بالغة محاولاً مرة اخرى تحليل تلك الفتاة الغامضة، وشخصيتها، ودوافعها. قداحته ذات قيمة كبيرة اهداه اياها والداه عندما احتفل ببلوغه سن الشرح... الحادية والعشرين. ومع انها قداحة ذهبية حفر عليها الحرف الاول من اسمه ورصع بالجواهر الثمينة، الا ان قيمتها المعنوية تفوق بكثير القيمة المادية. الم تكن تساي سوى لصة تستخدم اسلوباً جديداً في السرقة؟ وان كانت كذلك، فلماذا لم تحاول سرقته من

قبل؟

«بول، اشعل لي سيكارتي من فضلك!».

«اين رفيقتك الجميلة؟».

«في غرفة السيدات، على ما اعتقد».

«وماذا حدث لقداحتك؟ هل فرغت من الغاز؟».

هزّ دايون رأسه، ثم اومأ الى النادل وطلب منه ابريقاً آخر من الشاي.

بدأ الغضب يتسلل بسرعة وقوة الى رأس دايون واعصابه ولم يعد يشعر برغبة في اجراء حديث عادي وثرثرة لا فائدة منها. وراح يتأمل وجوه السيدات علّه يرى بينها وجه زائرته الغامضة. وعندما مرت ربع ساعة على غيابها، نظر الى بول غاضباً وقال:

«سأمشي الى الخارج. سوف اعود بعد قليل».

«مهلاً يا دايون! ماذا حدث؟ لم اعرف انها تهمك الى هذه الدرجة!».

«اني لست مهتماً بها شخصياً. لقد اخذت قداحتي!».

«سأذهب معك».

«لا داعي لذلك».

«اعرف، ومع ذلك فسوف اذهب».

توجّها بسرعة الى بهو الفندق حيث توجد غرفة السيدات قرب الدرج الذي لم يعد يستخدم الا نادراً بسبب وجود المصاعد. وكان عدد كبير من السيدات يدخل تلك الغرفة ويخرج منها، الا انها لم يشاهدا تساي بن لونغ.

«انه لامر مؤسف حقاً!».

قالها دايون وهو يسيطر على غضبه بطريقة تثير الاعجاب، مع ان نبرة صوته كانت توحي بان هذه السيدة اللعينة لن تكون مسرورة ابداً اذا رفع نظره عليها مرة اخرى. حبس بول وقال بتأثر:

«لم يكن يظهر عليها ابداً انها من هذا النوع من النساء. كنت اظن انها انسانة عبية ومحترمة».

وعاد دايون الى التحليل وايجاد التفسيرات المنطقية، ثم احس بيد تربت بتهذيب على كتفه. التفت الى الوراء فشاهد مدير الفندق يبتسم ويقول له:

الشرع لأن وضعه الاجتماعي لا يسمح له بأن يبدو انساناً انفعالياً وارتجالياً. وكذلك اراد ان تتألم إيما الصغيرة الفقيرة مع عائلة الثري النافذ قبل ان تنضم اليه وتصبح جزءاً منه. كيف توقعت منه ان يقبل رفضها بيسر وسهولة؟ رفض ان يصدق بأنها جادة.

ولكنها كانت جادة... وتركته الى غير رجعة! وعاد الغضب اليه وهو يتقلب في سريره. الا انه اقنع نفسه اخيراً بأن النقطة الايجابية الوحيدة في ذلك البحر من السلبيات كانت عدم اعلان الخطبة رسمياً... والا لكان جعل من نفسه اضحوكة لندن بأكملها. لم يعرف بحقيقة علاقتهما سوى نفر قليل من اصدقائه المخلصين. اما الآخرون فظنوا انها مجرد نهاية لمغامرة عاطفية اخرى. واكتشف ان إيما كانت ترد على مستجوبيها عندما يسألونها عن سبب الانفصال، بأن دايمون نبذها بعد ان مل منها. وكانت تلك الاجابات ترضي غروره وكبرياءه الجريحين الغاضبين... ولكنها كانت تؤلم مشاعره وتثير اشمئزازه من نفسه...

ودفن نفسه تحت وسادته بقوة واصرار مركزاً تفكيره على امور اخرى. لقد عانى ليالٍ كثيرة جداً يعاقب نفسه بسبب إيما... اما هذه الليلة فلن تكون كسابقاتها!

١٠- رمال العناق!

أمضى دايمون وبول الرحلة بين سان فرانسيسكو ونيويورك غارقين في العمل على أوراق ووثائق يجب انهاؤها قبل وصولهما الى لندن. ولم يتمكن دايمون بالتالي من قراءة الصحف التي ابتاعها في مطاري المدينتين الاميركيتين الا بعد اقلاع طائرتهما من مطار كنيدي في نيويورك. كانت عناوين صحف سان فرانسيسكو تتحدث عن مقتل فتاة صينية بوحشية.

قطب جبينه بانقباض ووضع الصحف الاخرى جانباً ثم بدأ يقرأ الخبر بسرعة. تحدث النبأ باختصار عن فتاة صينية لم تحدد هويتها بعد، وجدت مقتولة طعناً بالسكاكين، واكتشفت جثتها الملقاة على احد الارصفة دورية لرجال الأمن. ومع ان الخبر لم يحدد المكان ولم تكن هناك اي اشارة توحي بأن القتيلة هي تساي بن لونغ، الا ان دايمون احس بشعور غريب اكد له انها هي الضحية وان هذا كان سبب خوفها وروعها.

ناول دايمون الصحيفة الى بول وسأله بينما كان يشير الى الخبر:
«وما رأيك بهذا؟».

قرأ بول النبأ الذي تحدث عن مقتل الفتاة واختتم بسطر واحد يقول انها ثاني جريمة خلال اربعة ايام تستخدم فيها السكاكين، وان الضحية الاولى رجل في الاربعينات من عمره يحمل الجنسية البريطانية. كما ان السلطات المحلية تربط بين الجريمتين. ثم نظر الى دايمون باستغراب قائلاً:

«وماذا تعني؟ تساي بن لونغ؟ لا، لا. ستكون مصادفة غريبة جداً».

«لا اعرف! كانت خائفة جداً الليلة الماضية. شعرت بذلك قبل اختفائها... ثم...».

«عفواً سيد ثورن! اوصتني سيدة قبل قليل باعطائك هذه القداحة. انها لك. أليس كذلك؟».

ارتفع حاجباه استغراباً وقال له بدهشة وحيرة:

«نعم، انها لي. اين السيدة؟ هل تركت الفندق؟».

«اعتقد ذلك يا سيدي. اصرّت عليّ كي اتأكد من تسليمك القداحة شخصياً والاعتذار لك عن ذهابها بتلك الطريقة».

هزّ دايتون رأسه وقال له فيما كان يأخذ القداحة من يده:

«حسناً! شكراً، شكراً جزيلاً».

وفي وقت لاحق من تلك الليلة، وفيما كان مستلقياً على فراشه مغمض العينين استعداداً للنوم، عاد به التفكير مجدداً الى ايما. وانتبه الى ان حادثة المساء خلفت الكثير من الضجر والقلق اللذين سيطرا عليه فترة طويلة. وشعر بأنّ وجود تلك الفتاة العصبية الجميلة اثبت له مرة اخرى مدى تعلقه بايما.

كان يريدها كثيراً، ولم يتمكّن في السابق من ضبط مشاعره ورغباته تجاهها الا لعلمه بانه سيتزوجها. . . اما الآن فالوضع مختلف جداً. . . جداً! ولقد وضعت نفسها، بذهابها الى سانت دومينيك، تحت رحمته وتناول يده! لا يهمه ان جاءت موافقتها على الانتقال الى تلك الجزيرة نتيجة ضغوطه التي وصلت الى درجة الابتزاز والتهديد! لو انها كانت على استعداد للتضحية بنفسها لاجل شقيقها، فلماذا يهتم او يبالي؟

وتحوّل تفكيره فجأة الى تساي بن لونغ وسبب مغادرتها له على ذلك الشكل. لماذا؟ لماذا ذهبت فجأة ولم تعد؟ ولماذا اعادت القداحة واصرّت على ان تسلم اليه شخصياً؟ هل لهذه التصرفات الغريبة علاقة بالفعلها وخوفها في مستهل اللقاء؟ ام لانها التقت شخصاً آخر تصورت انه سيمنحها سهرة اكثر متعة واشد اثارة؟ ولكن، ما اهمية كل ذلك الآن؟ التقت به. . . اعادت ولاعته. . . أعادتها. . . وانتهت! هذا كل ما في الأمر. فلماذا لا يخلد الآن الى الراحة والنوم؟

الا ان النوم لا يأتي بمثل هذه السرعة، فعاد به التفكير الى ايما والى لقائه الاول بها. فتاة في السابعة عشرة من عمرها، صغيرة وخجلة كما لا تزال حتى الآن ولكن اكثر حيوية ونضارة. كانت موظفة جديدة في المقر الرئيسي

لشركة ثورن للكيماويات بشارع هولند بارك، وكان المبنى صغيراً جداً بالنسبة الى المجمع العملاق الذي انتقلت اليه الادارة في وقت لاحق، وعدد الموظفين قليلاً نسبياً. وبعد ظهر احد الايام، توجه الى المبنى القديم ليشرف على ما يقوم به احد الباحثة في حقل مستحضرات التجميل. . . وكاد ان يصدم بايما.

كانت هي المخطئة، واعترفت بذلك صراحة وبدون مواربة او تبرير. وابتسم دايتون عندما تذكّر مدى غضبه آنذاك، وكيف انها لم تكف منه بل طالبته. . . بالاعتذار. تذكر بوضوح تام فستانها الأحمر وسترتها القطنية البيضاء. . . ونظراتها التي كانت تقدح شرراً كقطة صغيرة يواجهها كلب شرس. اعجبته شخصيتها وثقتها بنفسها، مع انه كان متأكداً من انها لم تعرفه. . . والا لما كانت تجرؤ على مواجهته بتلك الطريقة.

ظل يفكر بها طوال فترة ما بعد الظهر. وكشاب مراهق يقع في الحب للمرة الاولى في حياته، لم يتمكن من طرد صورتها من ذهنه طوال الايام التي تلت ذلك اللقاء العاصف. تأكد له ان عليه رؤيتها مرة ثانية. فاجرى تحقيقات سرية عنها وعن اوضاعها. تبين له ان شقيقها ايضاً يعمل في شركته، فسهلت الأمور بعض الشيء. استدعاها في اليوم التالي وقال لها انه احد رجال الاعمال القلائل الذين يحبون التعرف شخصياً على جميع موظفيهم. واكد عليها بالتالي ان تحضر وتشاركه الطاولة وتناول العشاء معه في احدى غرف جناحه الفخم المخصصة لذلك. لم يفكر او يبالِ بالنتائج او المضاعفات، فهو يريد ان يراها!

لم تكن ايما من الاشخاص الذين يسهل التعرف اليهم. فما ان عرفت من يكون، حتى بدأت تتهرب منه ومن الاجتماع به. . . وبخاصة على انفراد. ومع انه احس بانها معجبة به، الا انه كان يعرف ايضاً انها لن تثق به ولسوف تظل تعتبره زير نساء. . . ومتحذلقاً. انقضى عدة اشهر قبل ان يتمكن من اقناعها بعكس ذلك. ولما تأكد له انها اصبحت تحبه كما يحبها، وعندما خطبها تمهيداً لزواج قريب، عاملته له بوجه العاصي وتركته يتخبط وحيداً وحزيناً.

لم يصدقها في بادىء الأمر! رفض ان يصدقها! كانت علاقتهما حميمة جداً مبنية على حب واحترام متبادلين، وكانا على وشك الزواج. رفض

تنهّد قليلاً وأضاف:

«اعتقد ان الريف سبق العقل. فحتى لو كانت تساي، لم يعد بامكاني القيام بأي شيء تجاهها».

أجابه بول بحدّة:

«هذا صحيح، واياك ان تخطر ببالك الفكرة مجرد للعودة الى سانت لوتـيـسكو والتعرف على الجثة. اذا كانت تساي، فانا لا اريد التورط في عملية البحث عن القتلة!».

في تلك الأثناء، كانت ايما مستلقية على الشاطئ، قرب انابيل تتصفح بكسل احدى المجلات الاسبوعية، فيما كانت الصغيرة تلعب بالرمال. كان يوماً رائعاً كالأيام التي سبقته، وكانت هناك مظلة كبيرة تقيهما حر الشمس ولهيبها. ولاحظت ايما ان الايام لم تخلُ من مصاعب ومشاكل، وها قد مضى على وجودها في سانت دومينيك شهران كاملان. ومنذ ذهاب دايون والفتاتان تعملان على توثيق العلاقات بينهما وتقويتها. تتحدثان عن مواضيع مختلفة ومتعددة، ابرزها حبة انابيل منذ حادثتها. ولم تتمكن ايما، بالرغم من محاولاتها الحاذقة والمتعددة سبر اعماق الطفلة في فترة ما قبل الحادث. فكلما اثارت الموضوع، تجيبه انابيل بحزم واصرار وحولت انتباه ايما الى امور اخرى.

الا ان ايما كانت مصممة على اكتشاف ذلك الجانب المظلم من حياة صديقتها الصغيرة، وبخاصة بعد ان لاحظت انابيل تبكي في غرفتها. رفضت انابيل التحدث عن السبب، مع ان ايما سمعتها تتمتم بكلمة امي مرات ومرات. ذهبت ايما الى تانزي لأنها الشخص الوحيد الذي يعرف البرايت ثورن. وحصلت منها على صورة واضحة تقريباً عن زوجة دايون الراحلة. قالت لها تانزي بقرف وهي تهز كتفيها:

«أوه، كانت مخلوقة انانية الى ابعد الحدود! لم تعر الطفلة اي اهتمام، ولم تمنحها دقيقة من وقتها الا عندما كانت تريد استخدامها كسيف لإيلام السيد ثورن».

«اين وقع الحادث يا تانزي؟»

ردت عليها تانزي بشيء من التأثر والانفعال:

«في ايرلندا يا ابنتي. كان السيد دايون يملك مكاناً رائعاً هناك، الا ان

السيدة البرايت لم تكن تحبه. كانت تقول دائماً ان ذلك المكان بارد جداً وخالٍ من كل نشاط واثارة. واعتقد انه لم يكن هناك رجال تسلي نفسها معهم».

ابتسمت ايما بدهشة واستغراب، وما لاحظت تانزي ذلك تابعت روايتها قائلة:

«أوه، نعم، كان هناك الكثير من الرجال في حياتها».

ارتبكت ايما وقالت:

«اعتقد ان علينا. . .»

«أوه، لا تعتقدي ان الامر سر. كانت معلومات عامة يتداولها الجميع، وكان السيد دايون على اطلاع تام بما يجري. انا لا اقول انه كان ملاكاً بريئاً، ولكنه لم يرضِ نفسه بأن يكون مخلصاً لفاسقة مثلها. ولماذا يجب ان يكون؟ تصوري انها رفضت رعاية الطفلة والاعتناء بها بعد ولادتها، وذهبت الى لندن. . . للترفيه والتسلية».

«وهكذا اذاً؟»

وما ان استدارت لتخرج من المطبخ حتى اوقفتها تانزي قائلة:

«يعلم الله لماذا عادت الى ايرلندا، مسببة للسيد دايون آلاماً وعذاباً بسبب الطفلة. كانت متوجهة الى دبلن عندما وقع الحادث. . . كانت دائماً متهورة في قيادة السيارات ووقعت لها عدة حوادث سير صغيرة قبل الحادثة الكبيرة. في اي حال، قتلت في تلك الحادثة وشعر الكثيرون منا بالارتياح والسرور. . . لأجل السيد دايون. لم تكن زوجة صالحة او انسانة طيبة. النتيجة المؤسفة الوحيدة هي اصابة انابيل ومعاناتها منذ ذلك الحين. ولكننا نقول الحمد لله، انها لا تزال حية ترزق، وانها ورثت الطباع الحميدة عن والدها ولم ترث اي شيء عن تلك الفاجرة التي تسميها امها».

هزت ايما برأسها وقالت للسيدة العجوز:

«شكراً. شرحت لي الكثير من الأمور».

«عظيم. اتركيني الآن لأعود الى عملي. لدي عشاء لاعداده وقد داهمني الوقت».

وضعت ايما المجلة جانباً، وامسكت بيد انابيل ثم سألتها بنعومة:

«انابيل، اخبريني عن ايرلندا».

تشنّجت الفتاة الصغيرة وسحبت يدها بقوة وسرعة وهي تجيب بشيء من العصبية:

«لا شيء اعرفه لأخبرك اياه. هل يمكننا ان نسبح الآن يا ماما؟».

«حبيبتي انابيل، يجب ان نتحدث في هذا الموضوع عاجلاً ام آجلاً، فلماذا لا نبحثه الآن؟».

«لا اريد التحدث عن هذا الموضوع».

«انابيل، لا يمكنك الاحتفاظ بهذه القضية في داخلك الى الابد. لا بد لك من البوح بها يوماً ما، فلماذا لا يكون ذلك الآن؟ من المؤكد انك تذكرين جيداً بيتكم هناك. هل كان والدك يلعب مراراً الورق بلك؟ من كان يعتني بك؟».

ظهر التمرد على وجه انابيل، ثم تنهدت وقالت بهدوء:

«نعم، كان والدي يحضر باستمرار. . . وتاتزي تعتني بي. . . وهناك اولاد آخرون ألعب معهم. . . وكانت حياتنا رائعة».

«وأمك؟».

«الراوية؟».

«نعم».

«هي التي طلبت مني ان اناديها باسمها. لم تكن تحب ان اناديها امي. قالت ان هذه التسمية تشعرها بأنها اكبر من عمرها».

وابتسمت ايما بارتياح ظاهر. واخيراً، بدأت انابيل التحدث. . . ؟ وبدون تردد او قيود. وقررت ان تشجعها على المضي في حديثها فسألتها:

«هل كنت تريدين منها ان تمضي معك فترة اطول؟».

وقفت انابيل وسألت ايما بهدوء متجاهلة كلامها وسؤالها:

«هل يمكننا ان نسبح الآن؟».

تنهدت ايما ووقفت بدورها وهي تقول:

«اعتقد ذلك».

ادركت ايما انها ستحتاج الى اكثر من اسبوعين لحمل انابيل على ابلاغها الحقيقة الكاملة عما حدث. وبعد العشاء تلك الليلة ووضع انابيل في فراشها وانتظارها حتى تنام، ذهبت ايما في نزهة على طول الشاطئ. كان الطقس رائعاً والنسيم العليل ينسيها حر النهار. وفجأة تسمرت في مكانها

لحظة قبل ان تتذكر ان هذا الشيء الذي أزعجها هو منشفة البحر الكبيرة التي كانت تستعملها وأنابيل بعد ظهر ذلك اليوم.

وبعد ان حملتها وهمّت بمتابعة سيرها طرأت على رأسها فكرة اعجبتها. فلماذا الانتظار حتى عودتها الى البيت لتأخذ حماماً بارداً؟ لماذا لا تسبح الآن؟ المياه ليست باردة، وفكرة السباحة بمفردها في ضوء القمر لا بأس بها على الاطلاق. هذا الشاطئ، بالذات مهجور دائماً، فالقرويون يستخدمون الجانب الآخر حيث ترسو القوارب والزوارق.

خلعت ثيابها ونزلت الى الماء. لم تسبح بعيداً مخافة الوقوع بمشاكل هي بغنى عنها في مثل وضعها الحالي. شعرت بالارتياح والرضى، حتى انها اقنعت نفسها بأنها قادرة في غياب دامون على التخلص من وحدتها التي تشعر بها الآن وبعده. خرجت من الماء بعد حوالي ربع ساعة ولفّت نفسها بالمنشفة وبدأت تجفف جسمها المنتعش والمرتاح. وفجأة. . . سمعت صوتاً وحركة. شدّت المنشفة حولها بقوة وقالت بصوت مرتجف وهي تحدق في الظلام:

«من القادم؟».

تقدم نحوها رجل طويل القامة عريض المنكبين، فصرخت بدهشة واستغراب شديدين:

«انت! متى وصلت؟».

هزّ دامون كتفيه العريضتين واجابها بهدوء:

«قبل ربع ساعة. اخبرتني لويزا بمكان وجودك، وكانت قلقة بسبب تأخرك. قلت لها اني ذاهب لاحضارك».

شدّت ايما المنشفة بقوة فبدت على وجهه ملامح الانزعاج وسألها بانفعال:

«ماذا ترتدين تحت هذه المنشفة؟».

لم تجبه فصرخ قائلاً:

«بحق السماء يا ايما، من المؤكد انك لا تسبحين. . . هكذا، وبمفردك ايضاً؟».

«ولم لا؟».

«لا، لا، لا تقولي ذلك!».

واقترب منها غاضباً وهو يقول:
«يمكن لأي شخص ان يلحقك وانت على هذه الحالة، هل تدركين ذلك؟ وما هي الفرصة التي ستكون لديك لو هاجمك احدهم وقرر اغتصابك؟».
تعلّقت به ايما وهي تحاول اخفاء عصبيتها وحدة مزاجها قائلة:
«لم يأت احد، سواك انت بالطبع!».
«وهل تثقين بي؟».
«وهل من سبب يدعوني الى عكس ذلك؟».
«نعم، اللعنة عليك، نعم!».
«لماذا؟ ماذا ستفعل؟ هل ستنتزع المنشفة عن جسمي؟ هل سيسرّك ذلك ويرفّه عنك؟».
كانت تتعمد اغضابه واثارة سخطه، الا ان حنقه كان يثير في نفسها مشاعر استفزازية غريبة. ردّ عليها بجفاف:
«لا، ان مشاهدتك عارية لا يرفّه عني او يسلّيني».
ارغمت ايما نفسها على التذكر بانه يكرهها ويحتقرها، وبأن اي شيء يقوله انما يهدف الى ايذائها واذلالها اكثر من اي وقت مضى. استدارت بعيداً عنه وانحنت لتلتقط ثيابها. داست على احد اطراف المنشفة، فهوت امامه على الرمال. هبّت واقفة بسرعة وتمتمت حانقة:
«اطلقني الآن، يجب ان ارتدي ثيابي».
لم يتحرك من مكانه بل مدّ يديه وامسك بها مانعاً اياها من الذهاب. ثم ابتسم بقسوة وسخرية قائلاً:
«لا، اني افضلك كما انت الآن».
بدأت دقات قلبها تتسارع وضغط الدم يرتفع، وحاولت بدون جدوى التخلص من قبضته. بدا انه يتمتع بجهودها الفاشلة، فزادت حدة غضبها. ثم ضمّها نحوه بعنف وقوة. ابعدت وجهها عنه وهي تحتج بكلمتين كادتا تعلقان بحلقها خوفاً وانفعالاً:
«اني مبتلة!».
شعرت بلهاثه الحار يقترب من عنقها وسمعته يقول بشغف ساخر:
«والامر مثير».

«داميون، ارجوك!».
سألها باستهزاء وهو يداعب كتفيها:
«ارجوك، ماذا؟».
«اتركني! دعني اذهب!».
«ولماذا افعل ذلك؟ اذا كان يسرني او يسليني ان اكون معك، فلماذا لا افعل ذلك؟ لاحظت منذ مجيئي انك لا تزالين تحبينني، فأنت عذبة جذابة للغاية».
رجته بصوت منخفض قائلة:
«داميون، لا تكن هكذا!».
«ماذا؟ ماذا يمكنك ان تفعلي الآن؟ اذا تركتك الآن، فما من شيء سيمنعني من اخذك في يوم آخر. أليس كذلك؟».
استدارت ايما لتنظر اليه وهي غير قادرة على منع تلك الموجة من الحب التي اثارها فيها. لو لم تعرف قصة البراميت، لاعتبرت انها اكثر مما كانت تتصور. وكانت ملامحه تعكس افكارها بوضوح تام، اذ سمعته يقول:
«ولماذا لا تنظري الي هكذا!».
ثم افلتها من بين يديه واستدار نحو المنزل وهو يشعر بقرف واحتقار ذاتيين. وشعرت ايما بالحزن على افلاتها منه! لم تعد تهمها ماهية الاسباب التي تحمله على لمسها وضمّها. كل ما تعرفه في هذه اللحظات انها تحتاجه الآن اكثر من اي وقت مضى. والحب الذي شعرت به تجاهه عندما كانت في السابعة عشرة ازداد بدلاً من ان يموت. كما كانت تأمل وتتمنى. اليوم... انها امرأة... واصبحت تحبه وتريده... كامرأة.
«هيا، ارتدي ملابسك وعودي الى البيت».
«داميون! داميون!».
«لا تجادلي معي».
«داميون، لا تكن هكذا!».
«هكذا، كيف؟ لا تخشي نفسك يا ايما! انا لم اتركك الآن شفقة عليك، ولكني تركتك لانه لا نية لدي لافقد احترامي لنفسي بسبب شابة صغيرة مثلك!».

تراجعت ايما مذعورة الى الوراء وهي تضع يدها على فمها لتمنع نفسها من الصراخ . . . او ربما البكاء. علق على ذلك ساخراً:

وهل يؤذيك كلامي ومعناه؟ عظيم. كنت اخشى حصول سوء تفاهم بيننا.

وخشيتك لم تعد في محلها بعد الآن.

وجمعت ثيابها ثم ركضت نحو المنزل بسرعة بدون ان تلتفت الى الوراء، او ان تنتظر لارتداء ملابسها.

١١ - تركتك لأجلك . . .

تبين لايما ان دايمون اتى بمفرده هذه المرة، ترك بول في لندن لمتابعة شؤون العمل وطار الى ناسو، ومنها الى سانت دومينيك مستخدماً الزورق بدلاً من الطائرة المروحية.

وعلى الرغم من علاقتهما في الليلة الفائتة الا انها اكتشفت انه لن يهمل ابنته على الاطلاق. وكان حضور ايما، الذي اصرت عليه انابيل، امراً لم يرغب به اي من الراشدين الا انهما قبلا به مرغمين ارضاء للفتاة. ومع ان ايما احست بعذاب كبير عندما اتت الى الجزيرة، الا ان ذلك الألم لم يكن شيئاً يذكر بالنسبة الى ما تشعر به الآن. فقد ادركت ان دايمون نجح في مخططه الرامي الى معاقبتها على ما فعلت به في الماضي. وتصورت انه مسرور جداً بما يحققه من الحاق الأذية بها. واحتقرت نفسها لأنها تسمح بحدوث ذلك.

هل تحدثه عن والدة انابيل؟ الفكرة بحد ذاتها ليست امراً سهلاً او ممتعاً، ولكنها شعرت بأنها ضرورية جداً لمساعدة انابيل على الخروج من محنتها واسترجاع بصرها. وسنحت لها الفرصة بعد ظهر احد الأيام، عندما كانت انابيل نائمة ولويزا ذهبت الى ناسو لتمضية النهار بكامله. اما تانزي فلا تتدخل بشيء، بل تمضي معظم وقتها في المطبخ حيث تعد الطعام وتخيط بعض الملبوسات لأطفال القرية الصغيرة.

كان دايمون يعمل في مكتبه والهدوء يعم البيت عندما حضرت ايما وطرقت بابه بهدوء ونعومة. ولما سمعته يطلب منها الدخول، دخلت واغلقت الباب وراءها. نظر اليها باستغراب وقال لها بلهجة التبرم

والتفتت إليه:
«نعم؟».
«اريد ان احدثك عن نايل».
«مرة اخرى؟».
«نعم، مرة اخرى. ولكني لا اريد التحدث عما يتعلق بك، بل عن الحادثة».
بدا الاهتمام والحذر على وجه دايون وقال:
«نعم؟ وماذا عن الحادثة؟ من المؤكد انه لا يعنيك امره. فمهامك هنا تقتصر على رعاية نايل عندما تكون بحاجة لرفيقة او شخص يعتني بها. كونك مرضة لا يعني بالضرورة ان عليك الالمام بتفاصيل حالاتها».
«نعم، انا مرضة واعتقد ان لي الحق في التحدث عن حالاتها مهما كانت طبيعة عملي هنا. اوه، انا اعرف انني لست سوى حاضنة ورفيقة لها. وادرك ايضاً انه ليست لي علاقة اي علاقة بسبب احضارك لي الى هذه الجزيرة. ولكنني الآن هنا ولا انوي السماح لك ابداً بأن تعاملني كانسانة غبية. انا اعرف بعض الأمور عن الموضوع ولا اعتقد ان نايل بحاجة الى عملية جراحية. لأني اظن بأن عماها ناجم عن مشكلة نفسية وليس بسبب تلك الحادثة بالذات».
وضع يديه وراء رأسه وقال لها بسخرية واضحة:
«اوه، حقاً؟ انت تعرفين ذلك بالتأكيد؟».
«انا لا اعرف ذلك بل اشعر به. دايون، بحق السماء، اسمع ما اقوله لك! لا يمكن لأي طبيب ان يعمل بنجاح الا بناء على المعلومات الصحيحة التي تقدم او تتوفر له. وعليه، فإن كان الاطباء لا يعرفون حقائق علاقتك مع والدتها فلن تتكون لديهم ادنى فكرة عن قلق الطفلة ومشاكلها النفسية...».
هبّ دايون واقفاً وسألها غاضباً:
«وماذا تعنين بهذا الكلام كله؟».
احمر وجه ايما واجابته بهدوء وثقة بالنفس:
«انت تعرف جيداً ماذا اعني».
«حقاً؟ ومن زودك بمعلومات عن علاقتي بزوجتي الراحلة؟ اعتقد انها

تانزي، العجوز الثرثارة!».
«لم تتفوه تانزي بكلمة واحدة ضدك. انها لم تقل اي شيء على الاطلاق يسيء الى طبعك الطيب!».
«وافترض ان الهدف من هذا الاطراء هو استرضائي!».
ولمعت عيناه ببريق الغضب ثم قال لها:
«لماذا لا تهتمين بأمورك وشؤونك الخاصة فقط؟».
«نايل هي اموري وشؤوني! فاذا كانت علاقتك الزوجية السابقة تنعكس سلباً على مشكلتها، فإني اعتقد ان من حقي القيام بأي محاولة لمساعدتها على استعادة بصرها».
«الم يكن بالامكان ان تكون علاقتي الزوجية، كما تسميها، اسوأ مما كانت عليه. هل هذا يجيب على سؤالك؟».
«انت. فلماذا...؟».
وعلقت بقية السؤال في حلقها. ولكنه حدق بها وكأنه ادرك طبيعة السؤال، وقال:
«لماذا تزوجتها؟ اهذا ما كنت ترغبين في معرفته؟».
«هل ملامح وجهي شفافة الى هذه الدرجة؟».
«بالنسبة الي، وفي بعض الأمور، نعم».
رفعت رأسها نحوه وقالت:
«انت...؟».
ثم تنهدت واضافت:
«انك لم تجد اي صعوبة تذكر لتسيئ بي يا دايون. انك تحملني على البقاء هنا للتفكير فيما اعتبره دنيء في رفضي الزواج منك. ولكني حسبما ارى فإن ذلك لم يؤثر على الاطلاق!».
تمتم دايون وهو يكاد يطحن اسنانه غيظاً:
«احببتك جداً يا ايما!».
ردت عليه بلهجة غلبت عليها القسوة والمرارة:
«هل احببتني حقاً؟ ام انني طعنت كبرياءك في الصميم؟ لم اصدق ان اي شخص بامكانه ان يصد دايون ثورن ويرفضه!».
امسك بكتفيها بقسوة بالغة احست معها وكأن اصابعه غرزت في مكانها

وصلت حتى العظام. وصرخ بها بعصبية عنيفة قائلاً:
«هذه لعنة لا اقبلها منك ابداً!».
ثم هزها بقوة وقال لها والنار تكاد تخرج من عينيه:
«قلت انني احببتك، وهذه هي الحقيقة. كنت الامرأة الوحيدة التي احببتها في حياتي او اردت الزواج منها».
نظرت اليه وهي لا تصدق ما سمعته اذناها، وقالت متلعثمة:
«ولكنك تزوجت البرابيت! بعد عشرة اسابيع فقط...».
لم تتمكن من انهاء جملتها، فقال لها:
«نعم، تزوجت البرابيت، هل انكرت ذلك؟».
«لا. ولكن... ولكن... [illegible]...».
قاطعها داڤيون باحتقار قائلاً لها بقسوة:
«لا تكوني حمقاء وغبية! كانت زوجتي، وتشاطرني السرير ذاته!».
«اوه، داڤيون!».
وشعرت بألم حاد في قلبها. فهمت اخيراً لماذا تزوج البرابيت. كان مثالاً، مثالياً جداً، لدرجة انه اقدم على ما اقدم عليه غير عابئ بالنتائج او المضاعفات. وسمعته يقول لها ببرودة:
«لا تشعري بأي شفقة نحوي. كنت اعرف تماماً ماذا افعل».
«انا آسفة يا داڤيون، آسفة جداً!».
«وهل انت حقاً آسفة؟ يا للعاطفة الجياشة!».
ثم اضاف بسخرية لاذعة:
«ربما ترين فيّ الآن شخصاً يرعاك ويؤمن لك مستقبلاً زاهراً وحياة رغيدة، وهو امر لم يكن يخطر لك ببال عند الاعجاب قبل سبع سنوات!».
اتسعت عيناها دهشة وحنقاً وشعرت بأنها لم تعد قادرة على تحمل المزيد. رفعت يدها وصفعته بقوة على وجهه ثم استدارت بسرعة نحو الباب. سبقها وسد الباب بقامته الطويلة وكتفيه العريضتين، وشاعت في عينيه السوداوين نظرات غاضبة توحي بالشر والخطر.
«لا احد يصفعني هكذا ويذهب بدون عقاب!».
وشدها نحوه بقوة وهو يتمتم:
«اوه، الهي! اني اريدك! اريدك!».

حاولت التملص منه فلم تفلح. ارادت تجاهل عناقه وعدم الاستجابة له... فشلت لا بل وجدت نفسها تطوق عنقه بذراعيها وتبادله العناق. لم يكن عناقه كالمرة السابقة عندما كان هدفه الوحيد ايلامها واذلالها. كان هذه المرة على ما يبدو نابعاً من القلب ومن عاطفة جامحة... وتمنت لو انه لا يتوقف. وبعد لحظات انتبه لنفسه وقرفت عليه خشيت الا يتوقف. ولكن ابيا لم تتركه... وارغمته بعناقها على عدم المقاومة.
وفجأة، وبدون سابق انذار، فتح الباب ودخل كريستوفر ثورن. انتبهت ابيا لنفسها على الفور وابعدت رأسها عن داڤيون. الا ان الرجل تردد بعض الشيء في اقلاعها. تنحنح كريس الذي تسمر في مكانه مشدوهاً وقال:
«آوه! يبدو اني تصرفت بغباء ورعونة، اليس كذلك؟ كان عليك يا ابن عمي ان تعلق لافتة على باب المكتب تقول... ممنوع الدخول، او بالاحرى... ممنوع الازعاج!».
«سأطلب من تانزي اعداد ابريق من القهوة».
ولما خرج من الغرفة نظر كريس بشيء من الاعجاب الى ابيا، التي كانت تهتم بشعرها وفستانها وهي تشعر بخجل رهيب. وقال لها بوداعة مزعجة:
«اهدأي يا صغيرتي، فأنا اعرف تماماً بما تشعرين».
ثم ابتسم واضاف:
«لا عجب ان يغضب الى تلك الدرجة عندما ابقيتك ليلة في ماسواء».
عاد داڤيون وسأل كريس:
«وما الذي حملك على المجيء في مثل هذا الوقت؟».
هز كريس كتفيه واجاب:
«لا شيء محدداً. لم نرك كثيراً منذ مجيئك الى الهيهات، واقترحت هيلين ان ندعوك لتناول العشاء معنا هذه الليلة».
«شكراً، ولكني لن اتمكن من قبول الدعوة. لدي عدد كبير من الرسائل والمذكرات التي يجب الانتهاء منها. وانوي تخصيص هذه السهرة لانجاز اكبر كمية ممكنة».
تعمد كريس النظر الى ابيا وهو يقول:

«حقاً».

رد عليه دايون بهدوء:

«كريس، أرجوك، دع المزاح جانباً».

ابتسم كريس وقال:

«ماذا؟! فهذا كل ما يمكن لرجل مثلك ان يفعل في ظروف كهذه. في اي حال، ان كنت منشغلاً الى هذه الدرجة، فما رأيك ان تدع ايما تأتي معي؟ سأتأكد من اعادتها بسلام وبدون ازعاج».

رد عليه دايون قبل ان تسنح لايما فرصة الاجابة بنفسها:

«لا اعتقد ذلك».

احضرت نازي القهوة فأخذ كل منهم فنجانه شاكراً. وشعرت ايما وهي تشرب قهوتها بأنها سعيدة لأن دايون قرر رفض الدعوة بالنيابة عنها. ثم سمعت كريس يقول:

«حسناً، حسناً. هذا يعني اني قمت برحلة طويلة كهذه بدون جدوى».

«لا تغضب يا كريس. وارجو من الآن فصاعداً الا تقتحم غرفة مكتبي على هذا النحو».

«اعدك بذلك».

ثم التفت نحو ايما وقال لها ساخراً:

«الى ان نلتقي ثانية يا ايما».

اومأت برأسها علامة النفي فوجه اليها كريس ابتسامة توحي بأنه يقبل الهزيمة بشموخ وكبرياء، ثم حياهما وغادر الغرفة مسرعاً. وبعد ذهابه، انهت ايما قهوتها وقالت:

«سوف نستيقظ لتناول قريباً. سأذهب لأكون بقربه».

وقف دايون وقال لها بهدوء بدون ان يلمسها:

«حسناً».

ثم استوقفها قائلاً:

«اعتقد ان على الاعتذار لك انت ايضاً، أليس كذلك؟».

هزت رأسها بالنفي، فقال لها:

«ماذا تعنين برفضك هذا؟ انك تعرفين حق المعرفة انه لولا وصول

كريس بتلك الطريقة الفاضحة . . . لما كان بامكاني ردع نفسي ومشاعري، واظن الى حد ما انك كنت تمرين في حالة ضعف مماثلة».

احمرت وجنتاها خجلاً وحياء، فما كان منه الا ان مضى الى القول:

«انا عادة لا افقد السيطرة على نفسي. حتى انني، عندما كنا . . . معاً . . . قبلاً، لم اسمح بوصولنا الى هذا الحد. ولكني اعتقد انني لم اهتم كثيراً هذه المرة بمشاعرك او احاسيسك. تصرفت معك كالغيلان! اني احتقر نفسي! كنت اعتقد انني سأؤذيك بهذه الطريقة، ولكني كنت مخطئاً».

«لا تلم نفسك، فأنا التي كنت اسعى اليها. تعرفت كتقنيات الشارع وكنت اريدك الا تتوقف!».

«كيف يمكنني تصديق ذلك؟ كانت لديك مرة فرصة ذهبية ولكنك قررت ان تخذليني وترفضيني!».

ردت عليه بحزن وأسى:

«رفضتك بسببك ولأجلك! لأجلك انت فقط».

قطب جبينه استغراباً وسألها:

«بسببي أنا؟! لأجلي انا؟! ما هذه القصة التي تختلقينها الآن؟».

«انها ليست قصة مختلقة. انها الحقيقة».

وادارت وجهها بعيداً عنه وهي تقول:

«اوه، ما الفائدة؟ انك لن تصدقني ابداً».

«حاولي! جربيني!».

«يصعب جداً شرح ما حدث. فالمسألة تبدو الآن سخيفة وواهية جداً، في حين كانت تبدو آنذاك اهم شيء في العالم».

«تابعي!».

تنهدت ايما وهي تبحث في رأسها عن الكلمات المناسبة لايضاح تصرفاتها معه قبل سبعة اعوام، وسألته بهدوء:

«هل تذكر حفلة العشاء التي اقمتها مرة للورد والليدي ماسترهام؟».

«اني اتذكرها، مع اني لا اذكر اي حفلة عشاء معينة حضرتها. ولكن هذا ليس مهماً. المهم هو ما حدث بالنسبة اليك».

«بعد العشاء مباشرة، اخذتني الليدي ماسترهام الى الشرفة وبدأت تحدثها عن مدى ذكائك، ونجاحك في عملك، واهمية حصول رجل في

مركزك على زوجة مناسبة وملائمة. قالت انك شجاع جداً لأنك متورط مع فتاة فقيرة وتعيسة مثلي ليست جديرة بأن تكون خادمة لك. وصفت مشاعري تجاهك بأنها ابتزاز وسعي وراء المال والشهرة، وقالت انها تأمل في الا تسيء علاقتك بي الى مركزك ومكانتك وعملك».

وهزت ابما رأسها بأسى وعمدت الى القول:

«ويمكنك تخيل بقية الحديث، أليس كذلك؟ وبالمناسبة، فإن الليدي ماسترهام لم تكن الوحيدة على الاطلاق. فجميع من كنت تعتبرهم أصدقاءك قالوا لي ان وجودي معك سيفسد حياتك . . . سيدمر كل شيء عملت جاهداً لانجازه وتحقيقه. كنت اعرف انك لن تصدق هذه الأقاويل مطلقاً . . . واعرف اننا نحب بعضنا ونثق ببعضنا. ولكني كنت صغيرة وكنت اخشى ان يكون كلامهم صحيحاً. احببتك كثيراً ولم ارغب في الحاق اي اساءة او اذية بك، فتظاهرت بوجود رجل آخر. كنت اعرف بأني لو اخبرتك الحقيقة لما قبلت بالتخلي عني، ففضلت الاقدام على ما اقدمت عليه. فضلت التضحية بحبنا من اجل مصلحتك ومركزك الاجتماعي والتجاري. ولكنك عندما تزوجت اليزابيث كيمفرفورد خلال فترة وجيزة جداً ورزقت بطفلة، شعرت بأني افضل الموت على الحياة».

ونظرت اليه بحذر خائفة من ان ترى به نظرات الاستهزاء وعدم الاقتناع في عينيه. ولكنه كان واقفاً بدون حراك وهو يستمع اليها بدهشة وحيرة لا تصدقان. وسألها بصوت قاس:

«وهل هذه هي الحقيقة؟ انها ليست رواية مختلقة؟».

هزت ابما برأسها حزينة ومذلة، وقالت:

«انها الحقيقة يا دايمون! الحقيقة المجردة».

امسك بيديها وقال لها بحدة:

«كنت مجنونة يا ابما، مجنونة! هل اعتقدت آنذاك اني كنت ساعير اهتماماً لما يقوله اي انسان عنك؟».

«وهذا ما قلته لك بنفسي! كنت اعرف بأنك لن تهتم بما يقولون. ولهذا السبب وحده اضطررت للكذب، والا لما كنت تركتني او تخليت عني».

«مؤكد، مؤكد! ولكن لماذا انتظرت حتى الآن لتخبريني بذلك؟».

«اعتقد اني لم اكن قادرة على مشاهدتك وانت تعذب نفسك،

وتعذيبي، اكثر مما تعذبنا. كان عليك ان تعرف الحقيقة».

هز دايمون رأسه بحزن قائلاً:

«اوه، ابما، كم كنت غبية. تهدرين تلك السنوات كلها».

«لا يا دايمون، انها لم تذهب هدراً! اني اعلم تماماً ان كبرياءك لن يسمح لي بأن اخدعك، تفكر طوال العمر بأني مخلوقة دنيئة ورعناء، وتستحق كرهك ومقتك واحتقارك. ولكن الوضع لم يتغير كثيراً عن السابق. كل ما في الأمر اننا كبرنا سبع سنوات. ولكني لا ازال نكرة معدمة وانت لا تزال رئيس مجلس الادارة - المدير العام لمؤسسة ثورن للكيماويات».

فضغط بيده على كتفها حتى اوجعها وسألها بحدة:

«وماذا علي ان افهم من ملاحظتك هذه؟».

«ما قلته لك تماماً. الوضع لم يختلف. لم اتمكن من الزواج منك في المرة السابقة، ولن اتمكن من الزواج منك الآن . . . والسبب واحد».

عبس دايمون وهو غير مصدق ما يسمع، ثم قال لها بحدة:

«كيف ترفضين امراً لم يعرض عليك او يقدم لك؟ مهما كان الأمر، فهل يمكنني معرفة السبب؟».

ردت عليه بحزم واضح:

«انت تعرف السبب. اليزابيث لم تكن مثلي. كانت ثرية وذات مكانة اجتماعية. كان زواجك منها على الاقل يناسب وضعك ومكانتك».

ضرب بيده على الجدار بعنف وهو يقول لها:

«انظري كم كان ناجحاً ذلك الزواج! عشنا معاً ثلاثة اشهر فقط . . . الفترة الباقية بأكملها كانت جحيماً!».

«ربما كانت شخصاً غير مناسب لك. فكما فهمت من ناتري، كنتما نقيضين واضحين!».

«وماذا تفترضين علي ان افعل الآن؟ اجد امرأة يمكنني العيش معها وادعك انت وناتري تدرسانها وتحللان شخصيتها ثم تقولان لي ما اذا كانت تناسبني ام لا؟».

«وهل تفكر بالزواج مرة اخرى؟».

اجابها بسخرية وهو يرغب في ايلامها مرة اخرى:

«ربما فعلت ذلك».

داود، دايمون!»

وبكت... ثم خرجت مسرعة من تلك الغرفة، كما فعلت في المرة السابقة.

١٢ - التحدي الجميل!

حمل اليها صباح اليوم التالي رسالة من شقيقها. كانت أطول من الرسائل المقتضبة التي اعتاد ان يبعثها لها. وبدأت انها تقرأ الرسالة بسرور بالغ لأنها ستبعد تفكيرها، ولو مؤقتاً، عن دايمون ونتيجة ذلك اللقاء العاصف بينهما.

الا انه تبين لها عندما انهت قراءة الرسالة ان سبب طولها الثاني بحث. فأخوها يواجه مشكلة أخرى وهو بحاجة الى بعض المال...

لم تعرف ماذا تفعل. ليس صعباً عليها ان تتصل بمصرفها في لندن وتطلب منه تحويل المبلغ الذي يسد به احتياجاته. ولكنها ماذا ستفعل بعدئذ؟ فالمبلغ التي وفرته اثناء عملها في المستشفى، بعد انفاق الجزء الأكبر من مرتبها على الطعام والثياب لها ولشقيقها، على وشك ان ينضب. كان جوني يستدين منها باستمرار وبدون احتشام او شفقة. ولم يكن يساهم كثيراً بحقائبها للشركة. وبما كان عليها الآن ان تسدد جميع ديون القمار للشركة عنه، فإنه لن يبقى لديها أي شيء على الاطلاق. وليت لو ان هناك شخصاً تلجأ اليه وتبحث معه مشكلتها ومصاعبها، ولكن ليس لديها احد. انها لا تريد مفاتحة دايمون بالأمر، مع انه سيساعدها بطريقة او بأخرى على الرغم من احتقاره لجوني.

وفي وقت لاحق من اليوم ذاته اتصل بول هاتفياً من لندن. كان دايمون مستلقياً وانابيل قرب بركة السباحة عندما ابلغته بأن بول يريد التحدث معه. ولأنه تصور بأن الحديث سيدور حول امور تتعلق بالشركة، فقد صعق عندما سمع بول يقول له:

«اقتحم اشخاص شقتك الليلة الماضية!».
«الشقة؟ وماذا كان بايبز يفعل آنذاك؟».
«ضربوه وقيدوه. يبدو انها كانت عملية اقتحام سريعة».
«ربما! قل لي يا بول! ماذا اخذوا من البيت؟ اللوحات الفنية؟».
«لا شيء على الاطلاق، وهذا وجه الغرابة في العملية. قلبوا المكان رأساً على عقب، ولكن هذا هو كل ما في الأمر. اعتقد انهم كانوا يبحثون عن شيء ما».
قطب دايون حاجبيه بعصبية وراح يفكر بما حدث ويحاول تحليل القضية واسبابها. ويبدو انه ظل صامتاً فترة طويلة مما جعل بول لان يسأل:
«هل ما زلت معي؟».
«طبعاً، طبعاً! كنت احاول تحليل الموضوع ولكني لم اصل الى اي نتيجة معقولة. هل توصلت انت الى اي نتيجة؟».
«بالتأكيد لا! اسمع يا دعون، اني احدثك الآن من الشقة. ورجال الشرطة موجودون هنا بالطبع. طلبتهم بمجرد ان وجدت بايبز».
«انت الذي وجدت بايبز؟».
«نعم. حاولت الاتصال مرات عديدة هذا الصباح فلم يجب. اتيت الى الشقة وفتحت بابها بالمفتاح الذي تركته معي. صعقت عندما وجدت بايبز على تلك الحالة. فقد كمية كبيرة من دمه ولكن الاطباء اعطوه كمية بديلة وقالوا انهم يتوقعون نجاته».
«اشكر الله العلي القدير. مسكين بايبز! كيف دخلوا الشقة يا بول؟».
«اعتقد انه فتح الباب لهم. لم تكن هناك اي دلائل على حدوث عراك، كما ان جميع النوافذ كانت لا تزال مقفلة بصورة طبيعية».
«ولماذا تأخرت حتى الآن لابلاغي بما حدث؟».
«اوه، انت تعرف! الاتصال بقسم الطوارئ في المستشفى، وبمركز الشرطة، ووصول المحققين ورجال الشرطة، اسئلة واجوبة، وكذلك انتظار المكالمة معك! في اي حال، هل تريدني ان اقوم بأي شيء آخر؟ سأعمل بالتأكيد على اعادة الشقة الى وضعها الطبيعي. ولكن، ماذا بعد ذلك؟».
هز دايون كتفيه وقال:
«لا اعرف. اعتقد ان بامكانك البقاء في الشقة، ان كنت تريد ذلك».

وضحك ثم اضاف قائلاً:
«لا تعتقد اني اريدك ان تتعرض للضرب او الأذية يا بول. ولكن اذا كانوا قد قلبوا الشقة رأساً على عقب، فمن المنطقي حسبما اتصور انها ستكون آمنة اكثر من اي مكان آخر في لندن. هل تفهم ما اقول؟».
«طبعاً» ... قال بول، الذي تقع شقته قرب شقة دايون، وقال:
«هل تعتقد انهم قد يحاولون اقتحام مسكني كذلك؟».
«من يدري؟ اننا لا نعرف عما يبحثون. ولكن اذا كان هذا الشيء يتعلق بالشركة، فانهم بالتأكيد يعرفون انك مساعدي الخاص. ومن يدري ماذا سيفعلون!».
«حسناً، حسناً. لقد اقنعتني. سأنام في شقتك واترك جهاز الانذار متصلاً بمركز الشرطة ليلاً ونهاراً. يمكنك ان تتصل بي اذا اردت، ولكني لن اقدم على اي مجازفة».
«احسنت!».
ثم تنهد واضاف:
«لا تقلق كثيراً! سأراك ان شاء الله خلال ايام قليلة».
وبعد انتهاء المكالمة، عاد التوتر الى اعصاب دايون. فمن يا ترى يريد اقتحام شقته والعبث بمحتوياتها على الصورة التي تمت بها العملية؟ ولماذا لم يقم المهاجمون مثلاً بسلب شيء، وخاصة اللوحات الفنية النادرة التي تشكل بحد ذاتها ثروة طائلة؟ التفسير الوحيد هو ان المهاجمين كانوا ينفذون اوامر صارمة من شخص آخر فرض عليهم عدم اخذ شيء الا الذي كانوا يبحثون عنه! ولكن السؤال المحير يبقى هو ذاته... عن اي شيء كانوا يفتشون؟
احست انابيل بصوته، فسألته بلهفة:
«هل من مشكلة يا أبي؟».
حدق بها دايون وهو مصدق من امرها. يا للذكاء! انها تملك حاسة قوية وغريبة توحي لها بانه متضايق ومنقبض النفس! اضطر للكذب لأنه لا يريد ازعاجها، فقال:
«ولماذا يا حبيبتي؟ لا شيء على الاطلاق! لنسبح قليلاً الآن لأن لدي بعض الأعمال التي يجب انهاؤها».

ومن ناحيتها، امضت ايما يومها قلقة بشأن جوني. . . وبسبب وضعها هي الصعب في الجزيرة. لم تلتق دايمون طوال النهار. تجنبت بركة السباحة عندما علمت انه هناك مع ابنته. كذلك فإن الطقس لم يكن مشجعاً. فالجو حار والغيوم السوداء بدأت تنتشر في الافق منذرة بحدوث عاصفة. الا ان العاصفة لم تحدث، مع ان ايما تمنت العكس. فالعاصفة على الأقل توفر لها موضوعاً جديداً تفكر به.

حل اليوم التالي كئيباً ومزعجاً. فالغيوم السوداء التي تكاثرت في اليوم السابق تحجب ضوء الشمس بكثافة. وشعرت ايما بالوحدة والانقباض. ذهبت لويزا الى ناسو بعد الفطور مباشرة لتمضية عطلتها الاسبوعية في تسوّق بعض الحاجيات والاغراض. وكانت قد دعت ايما لمرافقتها، الا ان ايما فضلت البقاء في الجزيرة متحججة بالطقس الرديء والصداع الذي تشعر به. ولكنها ندمت على ذلك في وقت لاحق، لأن انابيل تقضي وقتها بكامله مع والدها.

الا ان دايمون ابلغ ابنته بعد الفطور بأن عليه اجراء بعض الاتصالات الهاتفية ذلك الصباح. فما كان منها الا ان ذهبت الى ايما وتوجهتا معاً بعد ذلك الى الشاطىء. وخلال وجودهما هناك، قرأت ايما بضع قصص قصيرة لأنابيل، التي قالت لها بعد بعض الوقت:

«كفانا قراءة قصص اليوم يا ايما. حدثيني عن ايام طفولتك، هل كان لك والد ووالدة؟ اشقاء وشقيقات؟».

تنهدت ايما واغلقت الكتاب ثم اجابتها بهدوء وتمهل:

«نعم يا حبيبتي. كان لي والدان، الا انه ليس لدي الا شقيق واحد. كنا اربعة فقط، ولكننا كنا سعداء جداً. لم تكن لدينا اموال طائلة كما هي الحال مع والدك، الا ان ذلك لم يكن يؤثر علينا كثيراً. كنا نتمكن من تمضية عطلة سنوية في مصيف ساحلي، وكانت تلك الرحلة الوحيدة التي كنا نقوم بها».

وسألتها انابيل، التي بدا انها استوعبت جميع المعلومات بسهولة ويسر:

«هل كان بيتكم كبيراً؟».

«أوه، لا كانت هناك ثلاث غرف نوم وحمام واحد، بالاضافة الى غرفتين اخريين ومطبخ في الطابق الأرضي».

والقطة؟».

قالتها انابيل باستغراب واضح فهي لا تعرف سوى الفيلات الضخمة والبيوت الريفية التي تشبه القصور بحجمها ومساحتها.

«نعم يا حبيبتي، وهو حجم لا تتوصل اليه معظم العائلات المتوسطة الحال. انت فتاة محظوظة جداً لأن لديك قصراً جميلاً كهذا مع ما حوله من حدائق وبركة سباحة وشواطىء رائعة. . . واي شيء آخر تشتهينه وترغبين في الحصول عليه».

«انني لست محظوظة على الاطلاق. انني بالطبع احب والدي، وانا متأكدة من انه يبادلني هذا الحب. ولكنني مستعدة للتخلي عن كل شيء في العالم لتكون لدي بيت حقيقي فيه والدان يحبان بعضهما واخوة واخوات صغار يركضون ويلعبون».

ثم ضمت ركبتيها بذراعيها وقالت:

«أوه، اني احب كثيراً وجود اعداد كبيرة من الأولاد في البيت. كما احب وجود اطفال ارضعهم واهتم بهم، عوضاً عن اضطراري للاكتفاء بلعبتي باربي».

«يحدث احياناً ان شخصين يتزوجان ثم يشعران بعد فترة من الزمن انهما غير قادرين على العيش معاً. انه ليس خطأ اي منهما، كما انه ليس خطأ اي شخص آخر. انهما بكل بساطة لا يتمكنان من مواصلة العيش معاً. واذا انفصلا عن بعضهما بعد ان يكونا قد رزقا اولاداً، فإن ذلك سيؤثر كثيراً على الأولاد. وهذا فعلاً امر مؤسف للغاية».

علقت انابيل باستغراب والم واضحين وقد انهمرت الدموع من عينيها:

«ولكن يتحتم على هذين الزوجين الا يرزقا اطفالاً على الاطلاق».

«ليس الاطفال دائماً. . .».

وبحثت ايما في عقلها عن الكلمات المناسبة لتصف المسألة بطريقة سهلة وغير معقدة. ترددت بعض الشيء ثم قالت بعزم وثبات:

«انابيل، حاولي ان تفهمي الوضع على حقيقته. لم يكتشف والداك خطأهما الا بعد ولادتك».

وعضت شفتها تأثراً ثم اضافت:

JOHN LEE

«يجب ان تكوني عطفة لأن احد والديك على الأقل يحبك حتى العبادة».
اخفت انابيل وجهها بين يديها فجأة وقالت باكية بحزن وتأثر بالغين:
«اوه، ايفا! كنت انوي الحاق الأذى بوالدي. لقد احبني دائماً، ولكني كنت سأغادر البيت... كنت سأتركه الى الأبد».
قطبت ايفا جبينها ووضعت يدها برفق وحنان على رأس انابيل وهي تسألها بهدوء:
«تتركينه؟ ماذا تقولين يا انابيل؟».
رفعت الطفلة الصغيرة وجهها المبلل بالدموع الحارة وقالت بتلعثم:
«انك لا تفهمين الوضع... يا ايفا! كان ذلك عندما... عندما... عندما وقع الحادث!».
واخفت وجهها مجدداً بين يديها. ازداد تأثر ايفا واستغرابها، فقالت لها:
«اكملي! اخبريني المزيد».
«لا اقدر! لا اقدر! اني اخجل من نفسي الى درجة كبيرة!».
ضمتها ايفا بمحبة وحنان قائلة:
«اسمعي يا حبيبتي! انت تتحدثين مع ايفا! يمكنك ان تخبريني اي شيء تريدين، فلن اغضب او اصدم! اخبريني ماذا حدث، ارجوك!».
رفعت انابيل رأسها وسألتها بهدوء:
«هل تعدين بذلك؟».
«طبعاً، طبعاً».
مسحت انابيل وجهها بيديها وقالت:
«حسناً، اذن».
ثم تنهدت وبدأت تروي قصتها:
«أتت امي ذلك اليوم الذي وقع فيه الحادث، ولم اكن قد شاهدتها منذ عدة اشهر كما اني لم التق والدي منذ بضعة اسابيع. قالت... قالت لي ان ابي منعها من رؤيتي، وانه... لا يحبني كما يقول والا لما كان قد تركني هكذا. قالت انها تحبني، وتريد ان تأخذني معها حيث سنعيش سوية في لندن. رفضت ذلك وقلت لها لن اترك ابي. ولكنها قالت انني غبية وسخيفة».
غضبت ايفا وتأثرت لأن اساليب اليزابيث في اقناع طفلة لم تتجاوز

الرابعة من عمرها كانت قاسية وتدل على انعدام المحبة والعاطفة.
وسمعت انابيل تبلع ريقها وتلتقط انفاسها ثم تمضي في رواية ما حدث معها قائلة:
«عندما لاحظت اصراري على البقاء، حاولت معي طريقة اخرى وهي انها ستعطيني ما اريد ان ذهبت معها».
وشاهدت ايفا شفتي انابيل ترتجفان وهي تتابع حديثها:
«وكنت لعدة اشهر اطلب من والدي ان يشتري لي مهراً اصيلاً، وكان يقول لي دائماً انني صغيرة جداً وركوب الخيل في تلك السن خطر جداً. ولما قالت لي اليزابيث انها ستعطيني ما اريد، سألتها ان كان بامكانها ان تشتري لي مهراً. أجابتني بأنها ستشتري مهرين، اذا وافقت على الذهاب معها. قبلت عرضها المغري واستأذنتها لترتيب اغراضي. رفضت ذلك وقالت انها ستشتري لي ثياباً والعاباً جديدة، وان الاغراض القديمة يجب ان تبقى كيلا يشك احد بخطتنا. وكان كل ما اخذته معي آنذاك بالاريشيا».
وانهمرت الدموع مجدداً من عينيها ثم قالت:
«وقع... الحادث وقتلت اليزابيث. كنت تعبة جداً واشعر بحزن وخجل عميقين. لم... لم اتمكن من اطلاع ابي على ما كنت انوي القيام به، لم اتمكن من ابلاغه انني كنت سأتركه نهائياً».
وراحت تبكي بانفعال وعصبية، فضمتها ايفا مجدداً الى صدرها واخذت تربت بحنان ووداعة على كتفيها الصغيرتين. ومع انها تأثرت جداً بما سمعت، الا انها شعرت بشيء من الأمل يتفاعل في داخلها. فان كان ما روته انابيل صحيحاً، فان احتمالات العوامل النفسية تتضاعف بمشكلة انابيل. انها لا تريد ان ترى خيبة الأمل على وجهه عندما يكتشف الحقيقة... انها لا تريد ان تؤذيه! هذه هي المشكلة!
حدثتها ايفا بهدوء وحنان مخففة عنها مصابها، ثم اعادتها الى البيت لتناول طعام الغداء. وعندما انتهت انابيل من الغداء وذهبت الى غرفتها كالعادة لتنام ساعتين، خرجت ايفا الى الحديقة واخذت تحلل بهدوء وروية القصة التي سمعتها من صديقتها الصغيرة. صحيح انها اكتشفت دافعاً لتلك المشكلة، وسبباً لرفض الفتاة التحدث عن الحادثة. ولكن، هل يكفي ذلك؟ وكذلك، فماذا ستفعل باكتشافها هذا؟ انها تشك كثيراً في ان

معرفة دايون للحقيقة سوف تعيد بصر النبيل بطريقة عجائبية؟ ثم تنهدت بعمق وحولت تفكيرها الى اخيها ومشاكله.

وسمعت وقع اقدام ورائها، فالتفتت بشيء من العصبية لتشاهد دايون يقترب منها وقد بدا جذاباً وساحراً الى درجة كبيرة. جلس قربها واخذ سيكاراً من جيب سترته ثم قال لها:

«اين كنت طوال اليومين الماضيين؟».

هزت كتفيها وقالت له بهدوء:

«هنا وهناك».

برقت عيناه بلمعان غريب وتمتم بحنق:

«اتتحاشينني؟».

«لا... لا... اعني انك... كنت مهتماً بالنبيل، وانا... انا كانت لدي بعض الاعمال البسيطة».

«مهلاً، مهلاً! هل تظنين انني رجل غبي؟ يمكنني ان اقرأ افكارك ككتاب مفتوح، يا ايفا. انك تتحاشينني كأني وباء خبيث. لماذا يا ايفا؟ هل تخافين ان انقلب عليك؟ ام انك تعتقدين انني بعد ان عرفت الحقيقة طردها بدأت بمضايقتك وازعاجك كي اتزوجني؟»

«توقف! توقف!».

«لماذا؟».

واطفأ سيكاره ثم قال لها بهدوء:

«في اي حال، انا مسافر غداً الى لندن، وعندها يمكنك ان ترتاحي. هل تريدنني ان انقل اي رسالة الى اخيك؟».

احنت ايفا رأسها وقالت له متلعثمة:

«انك... انك لم... تغب... فترة طويلة هناك».

«صحيح».

ثم هز كتفيه واضاف:

«ربما كان عليّ ان اطلعك على السبب. اتصل بي بول امس وابلغني بأن اشخاصاً اقتحموا شقتي قبل ليلتين، وان بايتر تعرض للضرب والتعذيب وكاد يقتل».

اتسعت عيناها استغراباً وتأثراً، وقالت بصدق واخلاص:

«يا إلهي! انه لامر فظيع ومؤسف حقاً».

«صحيح. في اي حال، لم يسرقوا شيئاً».

«اذن، لماذا...؟».

«لا اعرف اكثر من هذا، كما انا ورجال الشرطة لا نعرف سبب الاقتحام. ولذلك يجب علي الذهاب لمعرفة الاسباب الحقيقية ونتائج التحقيقات الاولية».

حدقت به ايفا خائفة وقالت:

«اوه دايون! هل انت مضطر للذهاب؟».

وانتبهت الى ان نبرة صوتها تخونها وتفضح مشاعرها تجاهه، فتمالكت اعصابها وقالت:

«اعني انك ستكون حذراً، اليس كذلك؟».

امسك بمعصمها وتمتم قائلاً:

«ايفا، قولي لي ارجوك! ماذا تريدنني ان افعل؟».

واحست ايفا بأن عظامها بدأت تذوب كالشمع بسبب لمسته، وسمعته يضيف قائلاً:

«لا تفعلي ذلك بنا!».

«دايون، يجب ان تذهب الى لندن».

قالتها بصعوبة فائقة وهي تحس بقوة مشاعره تخلقها وتهز اعصابها. وسارع دايون الى الرد عليها وكان صوته مثقلاً بالعواطف الجياشة:

«انا لا اتحدث عن لندن، وانت تعرفين ذلك! انني اتحدث هنا عنا نحن! عن حياتنا! انك تدمرينني».

«اوه، دايون!».

رد على همسها بصوت قاس:

«انك تحبينني! اللعنة عليك يا ايفا، اعرف انك تحبينني!».

اغرورقت عيناها بالدموع فيما كانت تتأمله بمحبة وحنان. هذا هو دايون الحقيقي. لم يعد ذلك الثري المتغطرس الذي اعتادت على رؤيته خلال الاشهر القليلة الماضية. بل اصبح دايون الذي كانت تعرفه قبل سبع سنوات... جالساً قربها ممسكاً بذراعيها، وعيناه تتعذبان رغبة وحباً. وصرخت بصوت عال بعد ان شعرت بأنها غير قادرة بعد الآن على حرمانه

اي شيء؟»

«نعم، نعم، نعم! بالطبع احبك يا دايمون. احببتك دائماً، واريد الآن اعادة حياتك الضائعة اليك. . . لا الى تدميرك!».

ثم بصوت اجش وهو يحني رأسه ويقبل يديها بمحبة وحنان:

«آه احبيبتي! لا اريد منك الا ان تحبيني، لانني. . . يشهد الله على ذلك. . . لن اتمكن من العيش بعد الآن بدونك!».

لم تصدق انها فعلاً انها في حقيقة وليس في حلم. . . وان المعجزة حدثت. انها تخرج الآن من ذلك النفق الطويل المظلم لتشاهد النور الساطع وتتنشق الهواء المنعش. قد تعود الشكوك في وقت لاحق، اما الآن فليس هناك احد الا هي ودايمون. . . وهذا الشعور الرائع الذي يربط بينهما. نزلت ببطء من كرسيها الى ذراعيه اللتين استقبلتاها بقوة وحب.

وبدا ان دهوراً مرت قبل ان يعود دايمون الى الاستلقاء على ظهره، وهو لا يزال ممسكاً بها كيلا تهرب منه. . . حتى ولو ارادت ذلك. اشعل سيكارة وراح ينفث دخانها بهدوء وارتياح. ثم. . . عاد به التفكير فجأة الى سان فرنسيسكو وتساي بن لونغ. وتأمل مرة اخرى بتمعن تلك الولاعة الذهبية التي اخذتها منه تساي واعادتها بطريقة غامضة تثير التساؤل. وقال لنفسه بغضب انه كان عليه ان يتحقق من الفتاة الصينية التي قتلت اثناء ليلته الاخيرة في الولايات المتحدة. هل هي تساي بن لونغ ام مجرد فتاة صينية اخرى؟ ولما رفعت انا نفسها على مرفقها ورأت ذلك العبوس والتفكير العميق على جبينه ووجهه، تمتمت تسأله بشيء من الانقباض:

«دايمون. . . انك. . . انك غير نادم. . . وتعيد النظر منذ الآن؟».

اعاد دايمون الولاعة الى جيبه وهز رأسه وقد علت وجهه ابتسامة كسولة. مد يده الاخرى وداعب عنقها بوداعة قائلاً:

«بماذا تفكرين الآن يا حبيبتي؟ بالنسبة الي، انا احبك. . . احببتك. . . احببتك دائماً منذ اللحظة الاولى. . . احببتك حتى عندما كنت اكرهك! هذا صحيح! يا الهي! كرهتك!».

«والآن؟».

«الآن سوف نتزوج بغض النظر عن اي اعتراضات وعن غرفة المدرضين. لم اعد ارغب في قضاء حياتي في غرفة مجلس الادارة. اريد

مزيداً من الوقت لنفسي. اريد اولاداً. . . اريد اولادنا».

«وانابيل؟».

ذكرت انها اسم الطفلة وهي تدعه يضع رأسها على صدره، بحيث شعرت بالطمأنينة وراحة البال لاول مرة منذ عدة سنوات. اشعل دايمون سيكارة اخرى واجابها بهدوء:

«انابيل متعلقة بك الى حد كبير. لقد اثبتت ذلك مرات عديدة. وعليه، فأنا لا اعتقد انها ستجد صعوبة او غرابة في تحولك من صديقة الى زوجة اب. اضافة الى ذلك، انك ستكونين لها اماً افضل بكثير من اليزابيث».

«اوه! اوه!».

وتحركت انا من مكانها وهي تقول:

«اوه، هذا يذكرني بشيء اكتشفته اليوم. كانت اليزابيث تنوي خطف انابيل منك عندما وقع الحادث».

هز دايمون رأسه وقال:

«لقد تصورت ذلك كذلك».

تنهدت انا واضافت:

«انابيل لا تعرف انك تعرف. انها تعاني من عقدة اتهام الذات بشكل رهيب».

ثم نظرت اليه بجدية بالغة وقالت:

«اني اعتقد فعلاً بأنه ربما كان لهذه القصة علاقة بفقدانها نظرها».

اتسعت عيناه لحظة ثم تنهد وقال:

«ولكن، لماذا؟ اعني. . . انها تعرف بأنني لن الومها بالنسبة الى اي شيء حدث ذلك اليوم».

«اعرف. ولكن، الم تنتبه للنقطة الاساسية؟ انها مهتمة بأمرك انت وليس بأمرها هي. انها تلوم نفسها لانها سمحت لاليزابيث باقناعها على الرحيل. انها تشعر بالذنب لمجرد قبولها التخلي عنك».

حمل دايمون احدى يديها الى شفتيه وقبلها قائلاً:

«وتعتقدين حقاً ان من شأن ذلك السبب وضعها الحالي؟».

«ربما كانت هناك علاقة ما. ولذلك، علينا ان نتمكن من اقناعها بأنك غير

مهتم على الاطلاق بما حدث ذلك اليوم وانك لا تزال تحبها بالقدر ذاته رغم تلك الحادثة، فانها . . . ربما . . . تبدأ طريق العودة الى حالتها الطبيعية. وعندئذ يعمل الاخصائيون على ايقاظ عضلات عينيها وتدريبها على التكيف مع استعادة البصر».

وقف دايون وتمتم بتأثر وانفعال:

«آه، لو يمكنهم ذلك!».

طوقته ايما بذراعيها وضمته الى صدرها بقوة وهي لا تزال غير مصدقة تماماً بأنهما لا يتشاجران او يتعاركان، بل يتحدثان بهدوء ومحبة كأي عاشقين راشدين. وسمعت دايون يقول لها بصوت منخفض:

«ايما، لا تجعليني اريدك اكثر مما اريدك الآن وفي هذه اللحظة بالذات!».

«ولماذا؟».

سألته بصوت هامس يوحي بالاستفزاز والاغراء والتحدي . . . وبرغبة قوية في ان يقبل التحدي. وبسرور بالغ وسعادة فائقة، قبل دايون التحدي ووضع حداً للمزيد من هذا النوع من الاستفزاز الذي يحبه ويشتهيه . . .

١٣ - اقتحام حديث القلوب

في ذلك المساء، ارتدت ثيابها وزينت نفسها بعناية واهتمام. انها ليلته الاخيرة في الجزيرة، اذ انه سيتوجه الى لندن صباح اليوم التالي للتحقق من امر الشقة وللاعداد ببعض الاوراق الضرورية لزواجهما. وسوف يعود في وقت لاحق من الاسبوع ليأخذ الجميع الى لندن لحضور حفلة الزفاف. انه يريد عقد قرانه بسرعة قبل ان يكون لديها الوقت الكافي لتغير رأيها.

وانفرجت اساريرها عندما تذكرت ردّ الفعل الفوري، لاناليز عندما ابلغاها النبأ، اذ قالت:

«أحسست منذ البداية، يا ايما، ان لديك مكانة خاصة في قلب ابي. لم يرحب ابداً بوجودك معنا عندما كنت اطلب منه ان ترافقينا. ولكن عندما كنت تأتين بناء على اصراري، كان يريد تمضية معظم الوقت معك».

احمرّ وجه ايما حياء وسألتها:

«الا يزعجك ذلك؟».

«طبعاً لا. على الاقل . . . اعتقد ان ذلك لن يزعجني ابداً. ولكن اذا . . . اذا رزقنا اطفالاً آخرين، فهل سأظل انا الكبرى بينهم؟».

احتضنتها ايما بحنان شديد وقالت:

«اناليز، انت ابنتنا الآن. واذا انجبنا اطفالاً آخرين فانهم سيحبونك ويسترشدون بك لأنك الكبرى، كما تقولين».

وداعبت شعر الطفلة بمحبة واضافت قائلة:

«انت قلت لي انك تحبين كثيراً ان يكون لديك اخوة واخوات».

«طبعاً، طبعاً».

ثم غطت وجهها الجميل مسحة حزن وأسى، ومضت إلى القول:
«ولكني لن أتمكن من رؤيتهم، أليس كذلك؟».
نظرت إيما نحو دايون بسرعة ثم أجابتها بتمهل وروية:
«ربما تمكنت من ذلك يا حبيبتي».
ثم تنهدت بصمت وقالت:
«أطلعت والدك يا تانيل عما قلته لي هذا الصباح».
«صحيح يا أبي؟ هل أخبرتك إيما بأني كنت أنوي التخلي عنك؟».
رفع دايون ابنته بحنان وأجلسها برفق ومحبة على ركبتيه وهو يقول:
«كنت أعرف ذلك مسبقاً يا ملاكي».
«أنت تعرف؟ آه يا أبي الحبيب! كنت سأقدم على عمل شنيع جداً».
أجابها دايون بدماثة وحنان وهو يقبل رأسها:
«لا تكوني سخيفة يا حبيبتي! كنت طفلة صغيرة، في الرابعة فقط من عمرها».
«كنت أريد ذلك المهر اللعين، ألا تذكر؟ وقالت لي اليزابيت أنها ستبتاع لي مهرين عوضاً عن مهر واحد».
وأخفت وجهها قرب عنقه فيما كان يقول لها بنعومة وإقناع:
«للأسف أن اليزابيت كانت امرأة تعيسة وغريبة الطباع».
وتركتها إيما وهي تشعر بأن الأسس قد وضعت... وبأن الوقت وحده كفيل بمساعدتها على الشفاء من عقدتها النفسية، واسترجاع بصرها.
ونزلت إيما من غرفتها إلى القاعة حيث كان دايون بانتظارها. وقف احتراماً لدى دخولها، واقترب منها وهو ينظر إليها بعينين داكنتين تشعان حباً وحناناً. وتعجبت بصمت من قدرتها على تحويله إلى رجل آخر... رجل محب وهادئ... رجل يبدو الآن أصغر من سنه بعدة سنوات.
حيّته، فقالت له:
«أتمنى لو إنك لم تكن مضطراً للذهاب غداً».
«وأنا أيضاً».
«هل عادت لويزا؟».
«نعم. قالت لي تانزي أنها ترتدي ثيابها لتناول العشاء معاً. إني أشكر الظروف لأنها هنا».

احمرّت وجنتاها قليلاً، فأضفى ذلك على وجهها جمالاً وروعة. ثم أحست بدخول لويزا التي حيتها بتهذيب لائق:
«مساء الخير».
ردّت التحية بالمثل، ثم سألتها إيما:
«هل أمضيت يوماً ممتعاً؟».
«إلى حد كبير، شكراً. ابتعت كمية من التماثيل الجميل والجيد، سأريك التماثيل في وقت لاحق».
ابتسمت إيما ثم تطلعت نحو دايون لتعرف ما إذا كان ينوي إبلاغ أحد باستثناء تانيل عن زواجها المرتقب. ولم تضطر للانتظار طويلاً، إذ سمعته يقول:
«أعتقد يا لويزا أن عليّ إبلاغك بالأمر. اتفقنا أنا وإيما على الزواج في الأسبوع المقبل».
ظهرت الدهشة بوضوح على وجه لويزا وقالت بتلعثم:
«إنها مفاجأة... أنكما... لا تعرفان...».
قاطعها دايون بتهذيب ووداعة قائلاً:
«لا يا لويزا! التقيت إيما لأول مرة قبل ثماني سنوات عندما كانت تعمل في مكاتبنا بلندن. ولكنها...».
وتردد قليلاً ثم ابتسم وأضاف قائلاً:
«ولكنها لم تقبل بالزواج مني إلا اليوم».
«حسناً... ماذا يمكنني أن أقول... سوى أني مسرورة لكما وآمل أن تكونا سعيدين جداً».
عندما انتهوا من تناول طعام العشاء انسحبت لويزا بهدوء لتتركهما على انفراد. وضع دايون شريطاً يضم مجموعة كبيرة من المقطوعات الموسيقية الخالدة تعزفها إحدى أشهر الفرق في العالم. ثم أطفأ الأنوار الأساسية، مكتفياً بضوء جانبي بعيد، وجلس قرب إيما على تلك الكنبة الكبيرة المريحة.
«والآن أخبريني ماذا كنت تفعلين طوال السنوات السبع الماضية. أريد أن أعرف كل شيء عن حياتك منذ انفصالنا حتى الآن».
«لم يحدث معي أي شيء يذكر. فبعد أن تركت شركتك دخلت

مستشفى سانت بنيديكت كطالبة تمريض، ثم اصبحت ممرضة مسؤولة. وكما تعلم، كنت آمل في ان أتوصّل الى رئاسة القسم الذي كنت اعمل فيه».

«هل تفتقدين عملك؟ هل تندمين على التخلّي عنه؟».

وضعت رأسها على كتفه بغنج ودلال وقالت:

«لا، ابداً. كنت اشعر في البدء انني افتقد وجود زميلاتي الممرضات لنتحدث عن المرضى ومشاكلهم، ولكن ذلك لم يعد يهمني كثيراً. الآن، تبدو لندن بعيدة جداً... ولكني لن امانع في الذهاب اليها اذا كنت معي».

نظر اليها بمحبة وتمتم قائلاً وهو يداعب ذراعها:

«فقط يحق السماء، جعلتنا نضيّع عمراً مثل هذه الفترة الطويلة من حياتنا!».

«اوه، دايمون اني خائفة! خائفة من ان هذا الغرام لن يدوم. اني أحبك كثيراً... لدرجة لا احتمل معها حدوث اي شيء يفسد حياتنا او حبنا».

«لن يحدث اي سوء على الاطلاق. سوف نتزوج خلال اقل من اسبوع، ولن ادعك تندمين بعد ذلك ابداً. سأعلمك معنى الحب، وخطايا الحياة الزوجية».

وابتسم عندما رأى احمرار الخجل والحياء يغطي وجنتيها بقوة، وقال:

«لا تكوني خجولة معي. لن اؤذيك، وانت تعلمين ذلك».

«اعلم».

وفجأة أحسّت بوقع اقدام. ابعدت نفسها عن دايمون والتفتت نحو الباب لتشاهد انابيل قادمة وعلى وجهها ملامح انفعال واضحة. اقتربت منها وسألتها بذهول:

«انابيل، ما بك؟ ماذا تفعلين هنا، وفي مثل هذا الوقت؟».

«اردت ان... ان اعرف لماذا انتما معاً كي اخبركما ما حدث. ايقظني شيء ما وكنت خائفة. ثم تذكرت انك ستصبحين امي الجديدة، فقلت لنفسي انك لن تمانعي في حضوري اليكما».

نظرت ايما مبتسمة الى دايمون ثم قالت لانابيل:

«طبعاً لا نمانع يا حبيبتي. ولكن ماذا ايقظك؟ هل لويزا هي التي ايقظتك؟».

«لا، لم تكن لويزا. على الاقل انا متأكدة من انها لم تكن لويزا، فانا اعرف طريقة سيرها».

وترددت لحظة ثم تابعت قولها:

«لست متأكدة مما حدث. عندما جلست في فراشي كان الضوء يهجم على الغرفة. ولكني شعرت بأن احداً كان هناك».

وامسكت بيد ايما وهي تقول:

«كنت خائفة حقاً! اني لا اقول ذلك كذباً او ادعاء! كنت خائفة الى درجة كبيرة!».

ارشدتها ايما الى الكنبة، فقفزت انابيل الى حضن والدها وقالت له:

«سمعتكما تتحدثان فعلمت انكما هنا».

وضمّت والدها بقوة واضافت:

«أنا اعلم انك تحب ايما حقيقة. أليس كذلك؟ اعني انك لن تغيّر رأيك... بعد الزواج؟».

نظرت ايما الى عيني دايمون فرأت فيهما بوضوح انه لن تقع الخطأ هذه المرة. وسمعت دايمون يرد على ابنته بصدق واخلاص وهو يربت برفق على كتفها:

«اني احب ايما يا انابيل. وما من شيء في العالم يغيّر رأيي بالنسبة اليها. اني احبها منذ زمن بعيد، ومن غير المرجح ابداً ان اتحوّل عن حبي لها الآن. الا توافقيني على ذلك؟».

«وهل تحبك ايما الى هذه الدرجة؟».

ردّت عليها ايما بسرعة قائلة:

«طبعاً، يا حبيبتي، طبعاً! لا تقلقي ابداً! فسيكون لك بإذن الله بيت وعائلة، تماماً كأي فتاة صغيرة اخرى، وسنكون انا ودايمون دائماً قربك عندما تحتاجين الينا».

«اوه، اني اتمنى ذلك من كل قلبي!».

وقالت ايما لنفسها انه سيستغرق كثيراً ان تتمكن من تعويض هذه الطفلة البريئة عن الالام والاحزان التي تحملتها منذ ولادتها... اولاً مع امها، وثانياً مع فقدانها النظر والمشاكل المترتبة على ذلك. تحدّثوا بعض

الوقت وفرحت إيما إلى حد كبير عندما لاحظت انفتاح انابيل التام واتكالها على والدها وتعلقه بكل شيء تعرفه . . . بما في ذلك أن روزا تنتظر مولوداً جديداً. وبعد فترة من الزمن، انزلها فابيو عن ركبتيه وقال لها بحزم، وهو يلاعبها:

«إلى الفراش والنوم أيتها الآنسة. إنها العاشرة تقريباً».

نظرت إليها إيما متمنية بكل مشاعرها وجوارحها أن يعود إليها نظرها، وأن تظل دائماً . . . سعيدة ومبتهجة. وسمعتها تسألها:

«هل من الممكن يا إيما أن تأتي معي؟ أرجوك!».

«طبعاً يا حبيبتي. قولي لوالدك ليلة سعيدة، وهيا بنا».

قبّلت والدها بعطف وحنان وغادرت الغرفة وهي ترقص فرحاً وسروراً. وكانت تترقب بين الحين والآخر لتتأكد من أن إيما لا تزال وراءها. كانت الغرفة غارقة في الظلام، ولقد دخلتها انابيل بسهولة ويسر لأنها ليست بحاجة إلى النور. وقفت إيما داخل الباب ومدّت يدها لتضيء الغرفة، فأحست فجأة بيد تضغط على فمها وتمنعها من اطلاق صرخة الفزع التي انعقدت في حلقها، وذراع قوية تطوقها وتشل حركتها. حاولت التملص ولكن دون جدوى. وكانت الطفلة واقفة قرب سريرها وهي تشعر بوجود خطر ما بدون أن تدرك تفاصيله أو أسبابه. وقالت بصوت مرتجف ينعكس مدى خوفها وفزعها:

«إيما! إيما!».

حاولت إيما جاهدة مرة أخرى التملص من قبضته ولكن محاولاتها باءت بالفشل. وقال الرجل الغريب:

«ما بها هذه الطفلة؟ ألا تراك؟».

ثم سحب يده التي كانت مطبقة على فمها وقال لها:

«صوت واحد أو حركة واحدة وأقتل الفتاة!».

وكانت إيما تعي أن انابيل غير عابئة بالخطر المحدق بها وهمست قائلة:

«كل شيء على ما يرام يا حبيبتي، ولكن لا تتكلمي أو تتحركي من مكانك!».

تأملت إيما الرجل الدخيل بدقة وعناية. قصير القامة، ممتلئ الجسم، شعره حالك السواد، وعيناه ليستا كعيون الأوروبيين. حركة مسدسه

تجاهلها وسألها بحدة:

«أين فيورد؟».

ترددت إيما ولجأت إلى الكذب:

«لا . . . لا أعرفه».

تقدّم نحوها الرجل وقال لها بقسوة وعيناه تقدحان شرراً وحقداً:

«يكفي هراء وسخافة! كنت معه طوال السهرة. أنا سمعتكما بهاتين الأذنين. أين هو الآن؟ هيا . . . هيا أخبريني، وإلا آذيت الطفلة».

بلعت إيما ريقها بصعوبة وأخذت تنظر حولها. شاهدت الغرفة وقد قُلبت رأساً على عقب ولم يترك فيها هذا الرجل اللعين مكاناً إلا وفتش فيه. ترددت إيما مرة أخرى ولكنها لم تتمكن هذه المرة من الكذب خوفاً على حياة انابيل.

«إنه . . . إنه في القاعة. ولكن، أرجوك، ماذا تريد؟ ليست لدينا هنا أي أغراض ثمينة. خذ ما تريد، بحق السماء، واتركنا. اتركنا!».

«والعريس!».

ثم نظر إلى الممر الطويل وقال لها وكأنه يقرأ أفكارها:

«لن تتمكن تلك الشقراء من مساعدتك أيتها الآنسة، كما إني أشك كثيراً في أن أحداً آخر سوف يهرع لمساعدتك!».

«فيورد! ماذا فعلت به؟».

«لا شيء، لا شيء، إنه بخير».

ثم ابتسم بلؤم وأضاف قائلاً:

«سيشعر على الأرجح بصداع قوي غداً، فلا حاجة لأن تقلقي أبداً! تعالي إلى هنا وبسرعة!».

وقفت إيما ببطء، وتقدمت وانابيل نحوه بهدوء وتمهل. كانت الطفلة الصغيرة ترتعش خوفاً، كما أن إيما أحست بأن رجليها ضعيفتان جداً وأنها تكاد تلمس أرضاً.

«هيا الآن أمامي بسرعة وروية، ولا تحاولي القيام بأي حركات سخيفة أيتها الآنسة لأن الطفلة تموت أولاً. هل فهمتني؟».

وضعت إيما ذراعها على كتف انابيل وشدتها نحوها قائلة بنبرة مشجعة:

«هيا يا حبيبتي، لنذهب ونجد والدك».

شدّت انابيل على يدها بقوة وسألتها قبل ان تنهار باكية:

«هل... هل سيقدم هذا الرجل على قتل ابي؟».

هزّت ايمي رأسها بعنف واجابتها:

«لا... لا! طبعاً لا! انه يريد التحدّث معه فقط».

«ولكنه يحمل مسدساً، اليس كذلك؟».

حدّقت بها ايمي بذهول وسألتها:

«وكيف عرفت ذلك؟».

«افترضت انه يحمل مسدساً، والا كيف يكون بامكانه ان يرغمنا على تنفيذ ما يريده؟».

كانت الفتاة تبدو جذابة ومغرية في ذلك الضوء الخافت، وداميون لا يزال جالساً على الكنبة كما تركته يتصفح احدى المجلات المتخصصة بشؤون السيارات والمحركات. رفع رأسه استغراباً وقال:

«انابيل! كنت اعتقد انك... اللعنة على الشيطان، ماذا يجري هنا؟».

وتوقّف فجأة عندما شاهد الرجل يدخل وراءها وهو يحمل بيده سلاحاً قاتلاً يصوبه على انابيل.

«من... ماهويته؟».

قالتها ابنا خائفة، فضحك الرجل بشراهة وقال له مشيراً نحو كلّ داميون بيبه واقفاً ومتحفزاً:

«اهدأي ايتها الآنسة، فأنا والسيد تورن سوف نجري بعض المساومات والصفقات الكثيرة».

احسّت ايمي بأنها ترتعش وهي تراقب الرجل الدخيل يستجوب داميون بعنف وقسوة. ظهر الارهاق والتعب الشديدان على وجه داميون، فقد مضت خمس ساعات على وصول هذا الرجل واصدقائه. وقالت ايمي لنفسها: ان هذا الرجل يخطط بمساعدة ما من خارج المنزل، والا لما كان اقدم على هذه المهمة الصعبة.

ولاحظت ايمي من عملية الاستجواب ان داميون، من حيث لا يدري، اصبح ضحية لعبة قذرة جداً تتعلق بالانتقام والتهديد بالسلاح، وحتى القتل. ولكن الرجل الغريب لا يصدّقه... في البداية كان هادئاً ويحاول

استخدام الاقناع المنطقي وهو يسأل داميون عن مكان وجود الفيلم. ولما ظل داميون يصر على انه لا يعرف شيئاً، تحوّل الرجل الى العنف وعنده سكين فيما ظل مسدسه مصوباً نحو الفتاتين:

«سيد تورن! انا لست رجلاً صبوراً. لا تصرّ على موقفك هذا لانك ستضطرني الى استخدام اساليب اقناع اخرى. هل تريدني مثلاً ان امزّق وجه ابنتك امام عينيك، ام ان القضية تهمك اكثر من العلقة؟».

هزّ داميون رأسه بقوة وانفعال قائلاً:

«اني اقول لك للمرة المئة... لا اعرف بتاتاً عمّا تتحدث».

فقد الرجل صبره وسيطرته على اعصابه فهوى بعقب المسدس على مؤخرة عنق داميون بوحشية بالغة. فقد داميون توازنه ووقع على الارض. ضغطت ايمي على فمها كيلا تطلق صرخة خوف وألم، فيما كانت انابيل تسألها بلهفة:

«ماذا حدث؟ ماذا فعل؟ هل تعرض ابي لسوء؟».

صرخ بها الرجل بصوت عال وهو يتحوّل نحوها وكأنه يريد الانقضاض عليها:

«اخرسي!».

احتضنت ايمي الطفلة المذعورة بقوة وهي تحاول ان تحميها بجسدها وروحها حتى آخر رمق، فيما لو حاول هذا المتيم الفيلم بأي شيء على الاطلاق. نهض داميون بصعوبة فعاد الرجل الى الاستجواب... وعاد داميون الى نفي اي علاقة او معرفة بما يتحدث عنه هذا الرجل. وحاول ان يستخدم المنطق معه، فقال:

«اسمع! الا تعتقد انني لو كنت اعرف شيئاً لكنت اخبرتك ابداً؟ هل تعتقد بأني ارية يُزّيدُ ابنتي وخطيبتي تتعذبان وتتألمان؟».

«هذا لن يفيدك يا تورن! ما اقوم به الآن هو امر عادي جداً بالنسبة لي. لقد التقيت عشرات الاشخاص مثلك وجميعهم يعتقدون ان بامكانهم التهرب والتملص بالادعاء بانهم يجهلون الحقيقة. هذا التظاهر لن ينجح معي! صدقني! سأحصل على هذا الفيلم منك بطريقة او بأخرى، وعندما يتم ذلك...».

واقترب من داميون ثم وضع حافة السكين على عنقه وضغط قليلاً وهو

يقول:

«هل تشعر بالسكين؟ بالمعدن الحاد البارد؟ هذا ما ستتعرضون اليه جميعاً ما لم تعد الى رشدك».

رفع دايمون رأسه فجرح ذلك وسالت منه بضع نقاط من الدم، مما ارعب ايما قليلاً فصرخت:

«رباه!».

ابعد الرجل السكين عن عنق دايمون. كان واضحاً انه لا ينوي قتله قبل ان يخبره عن مكان الفيلم. ولكن اي فيلم؟ واحتارت ايما واصابها الذهول. هل من الممكن ان دايمون يعمل لحساب احدى المنظمات الحكومية بدون معرفتها؟ انه لأمر مستبعد جداً، ولكنّ اموراً اكثر غرابة وقعت وتقع كل يوم في هذا العالم المجنون! واستمرت التحقيقات والاستجوابات، وظلت الفتاتان تشعران بالعجز وعدم القدرة على مساعدة دايمون. وقد منعهما الرجل عن الجلوس ومشاهدة اضطهاده وتعذيبه لدايمون، وشعرت ايما بشيء من الارتياح لأن الليل لا ترى شيئاً. كانت ستتأثر اكثر بكثير لو كانت مبصرة وشاهدت والدها يعذّب ويهان ويهدد بسكين، بدون ان يتمكن من تحريك ساكن بسببها.

وفي احدى الفترات، ضرب الرجل دايمون على رأسه فأفقده وعيه. هرعت ايما الى جانبه غير عابئة بتحذير الرجل الغريب ووضعت رأس حبيبها في حضنها وراحت تربت على خديه برفق وحنان. ثم نظرت بحقد وعنف الى الرجل الغريب وصرخت بوجهه قائلة:

«أيها اللئيم! لماذا لا تلعب؟ الم تلاحظ بعد انه لا يعرف شيئاً على الاطلاق؟ الا ترى انك تقتله لمجرد القتل فقط؟».

رفعها الرجل عن الارض بوحشية ولوى ذراعها وراء ظهرها ثم دفعها بقوة الى الجانب الآخر من الغرفة وهو يقول:

«اذهبي الى هناك، واحضري ابريق الماء ذاك».

تركت معصمها لتخفيف الألم وأحضرت ابريق الماء صاغرة. وفكرت بضربه بالابريق على رأسه، ولكنها خافت من ان يحرك المسدس من يده ويبدأ باطلاق النار مما قد يؤدي الى مقتل احدهم او جميعهم. ولم تجرؤ على المجازفة. اعطته الابريق فصب الماء على وجه دايمون الذي أفاق للتو من

غيبوبته، جلس على الارض وهو يضع احدى يديه على مكان الجرح الذي خلفته ضربة الرجل. ولما انتبه الى وجود الرجل، وقف بسرعة وتطلع نحو ايما والليل ليتأكد من انها لم تتعرضا لأي ازعاج او مضايقة. وبعد الاستجواب والتعذيب، الى ان قال له الرجل:

«اسمع يا صديقي العزيز! ستزيد الحقائق الواحدة تلو الاخرى، واذا تمكنت من نفيها بشكل مقنع ومرضٍ فسوف ترى عندئذ ماذا سنفعل».

حدّق به دايمون متعباً ومرهقاً. فالساعة تجاوزت الثالثة بضع دقائق والصباح سيطلع خلال فترة قصيرة. ثم قال له بصوت منخفض:

«اي حقائق يا رجل؟ اخبرتك مئة مرة انني لا اعرف شيئاً عن هذا الموضوع. انا رجل اعمال وليس جاسوساً!».

«الأمر سيان لدي. ان كنت عميلاً مأجوراً او انك تبرعت بالقيام بهذه العملية فقط، فالامر لا يهمني. ما اعلمه جيداً انك ستدفع الثمن غالياً، كما ستدفع صديقتاك الجميلتان ثمناً غالياً، ما لم تخبرني الحقيقة. وكرت جميع محاولاتي حتى الآن عليك، ولكني سأتحوّل قريباً اليهما.

أمضيت وقتاً ثميناً معك، الا ان لدينا كل الوقت الذي نريده. فوجودك يا سيد تورن على هذه الجزيرة الصغيرة يساعدنا وينفذ اهدافنا».

وتأكد دايمون ان انه لا فرصة امامهم على الاطلاق. ولكنه لن يستسلم بدون قتال... اذا سنحت له الفرصة.

«ولكن، هل اخبرك بما نعرفه نحن؟».

«وماذا يمكنكم ان تعرفوا؟ ليس هناك شيء كي تعرفوه».

«صبراً يا سيد تورن، فهناك الكثير! اولاً، هل يمكنك ان تنفي انك كنت تعرف فتاة سمينة جذابة للغاية تدعى تساي بن لونغ؟».

«نعم، كنت اعرفها. ماتت، اليس كذلك؟».

«بكل اسف، نعم. حادثة مؤسفة للغاية. كانت فتاة جميلة ورائعة!».

«انت قتلتها؟».

«اضطررنا لذلك، ولكن المؤسف في الموضوع أننا لم نجد الفيلم معها. اسئت ملاحقتنا لها فتخلصت من الفيلم قبل موتها».

«آه، الآن افهم الآن ماذا تعني. انتم تعتقدون انها اعطته لي... تظنون انني انا الوسيط».

«وانا لا اثق يا سيد ثورن. . . انا نعرف. انت الانسان الوحيد الذي اتصل بها، ولم يكن ذلك لمرة واحدة بل لمرات عديدة. ان الاستنتاج الطبيعي والمنطقي يوحي بأن اسلوبك الساحر، اعماها عن الاخطار التي كانت تواجهها».

«ولكن الا تلاحظ خطأك؟ فلو كنت انا الوسيط لكان عليها ان تدرك بأن اتصالها بي سيفضح امري، اليس كذلك؟».

«وخطرت هذه الفكرة في رؤوسنا ولكننا الغيناها لاكثر من سبب. فالفتاة لم تكن على علم تام بأننا وراءها وسنقبض عليها، كما انها ذهبت الى سان فرانسيسكو لمقابلة رجل من التابعية البريطانية».

«والمرة الثانية هي ايضاً من صنعكم؟ الرجل البريطاني؟».

«نعم. تصوّرنا اننا تخلصنا بنجاح من وسيطها، الا اننا كنا على خطأ».

صرخت ايما متدخلة في الحديث الجاري بين الرجلين:

«وماذا لو لم تكونوا مخطئين؟ ماذا لو كان الرجل الآخر وسيطها؟ ربما اتصلت بداهيون لأنها تريد مساعدته، ولكنها لم تحصل عليها».

«آنستي العزيزة، انا متأكد تماماً من انك لا تعرفين شيئاً على الاطلاق عن هذا الموضوع. تساي بن لونغ كانت فتاة جذابة للغاية، ومن غير المحتمل الى حد كبير ان يطلعك السيد ثورن على نواياه، مهما كانت تلك النوايا».

احمرّت وجنتاها غضباً وغيرة. ولما شاهد داهيون ذلك الاحمرار وتلك النظرات المزعجة، ناشدها قائلاً:

«لا تصغي الى كلامه يا ايما، ارجوك!».

«يبدو ان خطيبتك لم تكن تعرف شيئاً عن تساي بن لونغ. كنت اتصور ذلك. اخبرني يا سيد ثورن، هل نمت مع تلك الفتاة؟».

ظهر الرعب على وجه ايما فيما شعر داهيون بحقد وكراهية بالغين تجاه ذلك الرجل الحقير. كيف يجرؤ هذا اللعين على الايحاء بمثل هذه التفاهات والاكاذيب امام ايما، والتلميح ايضاً. انه لأمر مؤلم جداً. لم يجب على سؤال الرجل الذي بدا عازماً على ملاحقة الحديث حتى النهاية، اذ قال:

«في فترة ما خلال علاقتك بتلك الفتاة، اصبحت وسيطها. ان كان ذلك بإرادتك، وهذا ما اعتقده انا شخصياً، او بغير ارادتك. . . فالامر

سيان وغير مهم بالنسبة الينا. انا نريد الفيلم».

«اي فيلم؟ رباه، فتشتم هنا وفتشتم شقتي في لندن. . . فلو كان معي لكنتم وجدتموه».

«انك تتكلم يا سيد ثورن. الفيلم صغير جداً، ميكروفيلم، ليس اكبر من حبة دواء صغيرة».

وابتسم بخبث ولؤم قائلاً:

«واياك ان تلهو معي يا سيد ثورن، فانا لن اغادر هذه الجزيرة قبل الحصول على الفيلم».

شهقت ايما ثم عادت الى صمتها وحزنها وتساءلت: لا يمكن ان تكون هذه الليلة حقيقية. لا يمكن! انه كابوس مزعج، ولكنه ليس كابوساً.

وقف الرجل بسرعة ورفس الكرسي بعنف ووحشية قائلاً:

«والفيلم معك يا سيد ثورن. هل اخبرك كيف اعرف ذلك؟ لأن جميع العملاء الذين نستخدمهم في هونغ كونغ لا يزالون بخير وسلام. لو انك سلّمت الفيلم الى السلطات المختصة، لكانوا معتقلين منذ بعض الوقت. سيحاولون الهرب طبعاً. وبما انهم لا يزالون يعملون، فهذا يعني ان الفيلم لا يزال معك. عندما فتشنا شقتك في لندن كنا متأكدين من ان الفيلم موجود هناك. كان من المستغرب جداً ان تغادر البلاد والفيلم لا يزال بحوزتك. انا دقيقون جداً يا سيد ثورن».

ثم ابتسم بخبث وتابع حديثه قائلاً:

«وخلاصة القول ان الفيلم موجود هنا. وبما اني اتصوّر انك لن تتركه في مكان ما هنا وتواجه خطر فقدانه، فاني اصبحت شبه مقتنع بأنه موجود معك انت بالذات».

وتنهّد بلؤم وقال:

«ان تفتيشك سيكون امراً مزعجاً جداً. ومع اني اكره ان اقوم بذلك شخصياً، الا اني مضطر، مضطر جداً».

«ولكنك فتشتني مرة قبل الآن».

«وهل تعتقد ان ذلك التفتيش كان دقيقاً بما فيه الكفاية؟».

«وماذا تعني بذلك؟».

«اعني ان التفتيش السابق كان خارجياً وسطحياً. اما في المرة المقبلة

«سوف يكون من الضروري ان نبحث في كل مكان من جسمك. هل تفهم يا سيد لورنز؟ في كل مكان!»

وضحك بحقد ومكر ثم اضاف قائلاً بجدية:

«اني متأكد من انك لا ترغب في ان تشاهد الفتاتان هذه الاهانة والذلة، ولكنهما ستفعلان ذلك مرغمتين!»

«ارجوك!»

وانحنى دايمون رأسه ومضى الى القول:

«لا يمكنني ان اضيف كلمة واحدة الى ما قلته سابقاً. اقسم لك بأني لا اعرف شيئاً عن هذا الفيلم».

هز الرجل كتفيه بدون اكتراث، وقال:

«اخلع ثيابك يا سيد لورنز».

«لا!»

«اعتقد انك ستفعل، يا سيد لورنز».

واقترب منه ببطء ثم ضحك واستدار نحو الفتاتين. استل سكينه ووضعها قرب عنق ايما وكرّر جملته بلؤم:

«اعتقد انك ستفعل، يا سيد لورنز».

تصاعدت الدماء الغاضبة الى وجه دايمون بسرعة وانفعال، ويداه ترتجفان حقداً وسخطاً. حل ربطة عنقه وسحبها بهدوء متعمّد. امسكها امام وجهه لحظة حلل فيها فرصة واحتمالات الربح والخسارة. عليه التحرك الآن، والا فلن تسنح له فرصة اخرى! ماذا سينجم عن ذلك؟ هذا المجرم السفاح سوف يقتلهم جميعاً في اي حال! نظر الى وجه ايما فشاهد الرعب الحقيقي، وتطلع الى انابيل فرأى كتلة صغيرة من الخوف والهلع، فتأكد له انه لن يتمكن من البقاء ساكناً بدون حراك.

وبقوة تفوق القدرة البشرية، رمى دايمون بنفسه على الرجل المسلح ملقياً به جانباً. وقع الرجل على ايما، فيما صرخت انابيل وفرّت كالمجنونة نحو الطرف الآخر من الغرفة. ابعده عن ايما و... يا لهول المنظر! كانت سكينه قد غرزت حتى مقبضها في كتف ايما، وكانت حبيبته لحسن حظها غائبة عن الوعي. الا ان الدماء كانت تفور بغزارة من جرحها العميق وتشكّل بركة حمراء صغيرة على السجادة الصفراء تحتها.

لو كان ثمة شيء في العالم يقوّي من عزيمته ويعطيه المزيد من القوة الجسدية، لكانت رؤيته ايما جريحة وعلى وشك ان تموت ان لم تحصل على معالجة سريعة. كان الدخيل لا يزال ممسكاً بالمسدس عندما استدار دايمون تلك اللحظة الوجيزة لمعرفة مدى الخطر المحدق بخطيبته. صوّب الرجل المسدس الى خصمه ولكن دايمون كان سريعاً للغاية فوجّه الى وجه الرجل لكمة حمّلها كل قوته وغضبه واشمئزازه. لم يتمكن الرجل من الضغط على الزناد، ولكنه كان قوياً جداً فانتفض هز رأسه بقوة، واطلق صرخة حادة كحيوان بري جريح ثم استدار نحو دايمون. احس دايمون بأن لا امل له في الحياة ان لم ينقض على عدوه المسلح والاشتباك معه بالايدي. تقاتل الرجلان بوحشية وضراوة. ومع ان دايمون اطول من خصمه، الا ان ذلك الرجل كان مجموعة من العضلات المفتولة القوية ومحنكاً اكثر بكثير من دايمون على جميع فنون القتال. رفع ركبته ووجهها بأقسى قوته الى معدة دايمون ثم دفع به الى الجدار المقابل، حيث ارتطم به ووقع وراء الكنبة في اللحظة التي انطلقت فيها رصاصة حطمت زجاج النافذة فوق رأسه.

تحرّك دايمون بسرعة على الارض قبل ان تسنح للرجل اي فرصة للتحرك. امسك برجليه ورفعه ارضاً حيث قبض على معصم اليد التي تحمل المسدس وراح يضربها على الارض بعنف ووحشية، الى ان وقع المسدس قرب قدمي انابيل. نظر دايمون الى ابنته وقال لها بلهفة وهو يحاول بصعوبة فائقة ابقاء الرجل على الارض:

«انابيل! المسدس! موجود قرب قدميك! اعطني المسدس بسرعة!»

هزت الفتاة الصغيرة رأسها مذعورة وقالت باكية:

«اين؟ اين؟ اين انت؟»

«هنا، هنا يا حبيبتي! اعطني المسدس، يا انابيل! بسرعة!»

انحنت انابيل ورفعت المسدس بيد مرتجفة وقالت:

«اين؟ اين؟ اين انت؟»

«الى هنا يا حبيبتي! انابيل، هنا».

بدأ الرجل يتحرر تدريجياً من قبضة دايمون وامسك بيده عنق خصمه في حين مدّ يده الاخرى نحو الطفلة. واصيب دايمون بالهلع! فلو اقتربت ابنته قليلاً، فانها ستعطي المسدس لهذا الرجل الشرير. كيف ستعرف؟ كيف

ستفرّق بين يد وأخرى؟ قال لها وقد بلغ به اليأس حداً لا يطاق:

«انابيل، انتبهي يا ابنتي! احذري بحق السماء أن تعطي المسدس لهذا الوحش!».

حدقت بها انابيل وهي لا ترى شيئاً، وكانت تحمل المسدس بيد وتضغط على فمها باليد الثانية. وصرخت باكية وخائفة:

«كيف... كيف سأعرف؟ أبي، أين أنت؟».

اقتربت قليلاً فشدّ الرجل نفسه نحوها وأمسك برجليها، ففقدت توازنها ووقعت فارتطم رأسها بالخزانة الخشبية القريبة. ولحسن الحظ، وقع المسدس تحتها. وجّه دايمون لكمة قوية جداً إلى صدغ الرجل أفقدته قوة وعجزاً، ثم نادى ابنته بلهفة:

«انابيل، انابيل! هل أنت بخير؟».

بدأت الفتاة الصغيرة بالتحرك ثم وقفت ببطء وهي تمسك بالمسدس مرة أخرى. أجابته بذهول وهي تفرك عينيها:

«نعم، نعم، أنا بخير. أبي؟ هل أنت هنا؟».

«هنا... هنا!».

وبدأ الرجل الآخر يتحرك أيضاً. انه بلا شك قوي البنية إلى درجة ملحوظة. وعاد دايمون ينادي ابنته ويحذرها:

«انابيل، المسدس! ولكن لا تقتربي كثيراً».

تقدمت انابيل نحوهما ثم بدا وكأنها تتأملهما، لأنها انحنت فجأة ووضعت المسدس في يد والدها. رفع دايمون المسدس وهوى به بكل قوته على رأس الرجل فأفقده وعيه. وقف دايمون وقد ظهر الاعياء على وجهه. وفي تلك اللحظة بالذات دخل رجلان، فصوّب المسدس نحوهما ثم قال وكأنه لا يصدق عينيه:

«المفتش هوارد! رباه شكراً لك! من أين أتيت يا رجل؟».

١٤ - يا لها من ليلة!

دخل المفتش هوارد الغرفة بهدوء وسكينة وكأنه يقوم بزيارة مجاملة. وفيما تولى مساعده تقييد الرجل المغمى عليه، اقترب من انا التي بدأت تستعيد وعيها تدريجاً وقال لرب البيت:

«اخبرني الآن يا دايمون، ماذا كنت تفعل؟ هل كنت تقيم حفلة للمجانين؟».

وابتسم فرحاً بنفسه لأنه شعر بضرورة العمل على التخفيف من حدة التوتر المخيمة على هذا المنزل وجميع المقيمين فيه. ألقى دايمون بنفسه على أحد المقاعد القريبة وقد بلغ منه الاعياء درجة لا تصدق. سأل صديقه المفتش وهو لا يزال ممسكاً بالمسدس:

«هل هي بخير؟».

«انها بدأت تعود إلى وعيها. لقد فقدت كمية كبيرة من الدم».

ثم التفت نحو مساعده وقال:

«فيليب، اذهب إلى الزورق واستخدم جهاز الاتصال الموجود فيه لاستدعاء الطبيب مريديث. قل له أن يحضر معه معدات خاصة بإعطاء الدم، لأن الفتاة قد تكون بحاجة لذلك. هل تعرف يا دايمون فئة دمها؟».

هز دايمون رأسه اشارة إلى النفي. وفيما غادر فيليب المنزل متوجهاً إلى الزورق، التفت المفتش نحو دايمون وقال له بهدوء:

«ستكون بخير بإذن الله. كيف حالك أنت؟ وأنت أيضاً، يا صغيرتي انابيل، كيف تشعرين؟».

كانت انابيل واقفة قرب مقعد والدها وقد بدت على وجهها ملامح

غريبة. لم تجب المفتش فاستدار والدها نحوها وقال بقلق:

«انابيل، حبيبتي، هل انت بخير؟».

هزت انابيل رأسها وقالت لوالدها بصوت ضعيف:

«ابي! الم تلاحظ؟ اعطيتك انت المسدس!».

«انابيل! هذا صحيح! هذا صحيح! هل ترين؟».

سمعت ايما سؤاله فرفعت رأسها المرهق وسألت بصوت واهن:

«هل عاد اليك بصرك يا انابيل؟ هل عاد حقاً؟».

«بدأ بصري يعود تدريجياً... اعتقد ذلك. لا... لا ارى بوضوح

الشعر وكأن غشاوة تغطي عيني الاثنتين. ولكني تمكنت من معرفتك يا ابي.

كان علي ان اعطيك انت ذلك المسدس اللعين، أليس كذلك؟».

عانقها دايمون نحوه وضمها بمحبة وحنان مردداً اسمها وصوته يكاد

يختنق عاطفة وتأثراً:

«اوه، انابيل! انابيل! انابيل!».

عانقته وقبلته بحنان فياض ثم سارت نحو ايما بخطى بطيئة واثقة فيما

كان والدها والمفتش يراقبانها باهتمام. ارتمت ايما على الكنبة لأنها لم تعد

قادرة على الجلوس، فانحنت فوقها انابيل وجلست راكعة قرب عنق

صديقتها الجريحة هامسة:

«اوه، ايما! سأستعيد بصري يا ايما! سوف ارى! يا لروعة هذه

الكلمة!».

قال دايمون لنفسه انه لن ينسى هذه الليلة في حياته، لا لرعبها وعذابها

بل لأنها اعادت النظر الى ابنته الحبيبة. قد يمر بعض الوقت قبل ان يعود

النظر الى حالته الطبيعية، ولكن المهم ان الحاجز النفسي كسر وانها بدأت

ترى!

ركع على ركبتيه قرب الكنبة عندما انسحبت انابيل الى مكان آخر، وقال

للفتاة الجريحة:

«ايما، حبيبتي، هل انت بخير؟».

شدت ايما على يده بقوة وقالت:

«سأكون بخير، بإذن الله. الجرح مؤلم الى حد ما، ولكني سأخرج من

هذه المحنة سالمة معافاة... ثمة امور عديدة اتطلع قدماً اليها والى

الشفاء».

«والآن يا عزيزي، بعض الايضاحات من فضلك! لماذا اتيت الى هنا؟

وماذا عن الآخرين المتورطين مع هذا الرجل؟».

اجابه المفتش هوارد بهدوء وهو يبتسم:

«لم يكن معه سوى رجل واحد، وهو الآن مكبل اليدين والرجلين

ومطروح في زورق الشرطة تحت الحراسة».

«عظيم. ولكن، لماذا أتيتم الى هنا؟ اعني، كيف عرفتم بما يجري؟».

«لم نعرف. كنا نعلم فقط ان هذين الرجلين وصلا الى ناسو بمجرد

نزولهما من الطائرة، ولكننا بالطبع لم نخمن ان لهما علاقة بك. في اي حال،

ابقيناهما تحت المراقبة طوال الوقت. ولكنهما ليسا السبب في حضورنا يا

دايمون، مع اننا سمعنا طلقاً نارياً عندما كنا نقترب من الجزيرة وشعرنا بأن

مشكلة ما قد وقعت. سبب حضورنا هو خطيبتك، الآنسة ايما هاردينغ.

هل هي هنا؟».

ذهل دايمون لأن ذلك كان آخر امر يمكن ان يتصوره. سبقته ايما الى

الاجابة وقالت له بصوت واهن وقد اصفرت وجنتاها اكثر من ذي قبل:

«انا ايما هاردينغ. ماذا تريد مني يا حضرة المفتش؟».

دهش المفتش هوارد وقال وهو ينظر بذهول الى دايمون:

«ولكني كنت اعتقد... اعني... ان تصرفك مع الآنسة يجعلني...

افترض طبعاً انها... انها...».

اجابه دايمون بهدوء:

«انها خطيبتي. سوف نتزوج في نهاية الاسبوع المقبل. لماذا؟».

هز المفتش رأسه وقال:

«هكذا اذن! يا للأسف!».

شهقت ايما ورفعت يدها الى كتفها فجأة... ثم اغمي عليها مرة

اخرى. هرع دايمون الى جانبها وهو يقول:

«ربما! ربما! هل تعتقد ان علي نقلها الى ناسو؟».

«لا! لا تحركها من مكانها! سوف نزودها اكثر مما تستطيعه».

دخل المساعد فيليب في تلك اللحظة وهو يلهث من التعب، وقال:

«الطبيب في طريقه الينا. انه قادم من الموروو، وسيصل خلال عشرين

«دقيقة».
«شكراً لك يا ربي!».
قالها دايفيد بتأثر وابتسم ثم التفت نحو صديقه المفتش وقال له:
«ولكن يا بوب، ماذا حدث؟ لماذا كنت قديماً لمقابلة إيما؟».
«لا شك في هذه الظروف الصعبة بالذات، والتي سأوضحها لك في وقت لاحق، ان أحمل ثلاثة أنباء سيئة ومزعجة. الأفضل أن نبحث الموضوع في مكان آخر كيلا تسمع حديثنا في حال انها استعادت وعيها فجأة».
«رباه! لويزا! نانسي! والخدم! لم يذهب احد بعد لمعرفة ما اذا كانوا بخير!».
وبينما كانت نانسي تدخل الباب، أشار المفتش الى مساعده قائلاً:
«فيليب! تحقق من الأمر».
«سيد لوردنا ماذا جرى، بحق السماء؟».
«سأشرح لك لاحقاً. هل انت بخير؟ هل دخل احد غرفتك؟».
«لا، حسبما أعلم. لماذا؟ هل وقعت مشاكل؟».
وشاهدت الرجل الغريب ملقى على الأرض، فصاحت:
«أوه! أوه! ماذا يجري هنا؟».
أجابها دايفيد بتململ وتبرم:
«في وقت لاحق يا نانسي، في وقت لاحق. اسمعي! إيما مصابة بجرح بالغ. الطبيب في طريقه الينا. ابقي معها ريثما أتحدث مع المفتش على انفراد».
«طبعاً، طبعاً».
وركضت نحو إيما وهي تقول بعد ان شاهدتها على الكنبة:
«آه، الفتاة المسكينة!».
ثم التفتت نحو انابيل مذعورة وسألتها بلهفة وتأثر:
«وانت يا حبيبتي الصغيرة! يا ملاكي! هل انت بخير؟ هل اصابك احد بأذى؟».
رقصت انابيل وقفزت امامها وقد امتزجت في نفسها مشاعر الفرح من انتهاء المحنة والبهجة بعودة بصرها. وتركها والدها والمفتش لتخبر نانسي

الأنباء السارة بعودة بصرها جزئياً. وفي غرفة المكتب، تطلع دايفيد الى صديقه سائلاً وقد عيل صبره:
«هيا! هيا! ما هي هذه الأنباء السيئة التي تتحدث عنها؟».
«كان لها شقيق، أليس كذلك؟ جوني هاردينغ؟».
«كان... كان لها شقيق؟».
«آسف يا دايفيد. هل تعلم انه سرق اكثر من مئتي جنيه من شركتك؟».
«نعم، منذ بعض الوقت، وقد تمت تسوية المشكلة آنذاك».
«لا أعني تلك الحادثة، بل هذه التي وقعت خلال الشهرين الماضيين. انها القصة المعتادة... ديون لا يقدر على تسديدها، وتهديدات يتلقاها من الشقاة يستخدمهم أصحاب نوادي القمار لجمع ديون اللاعبين».
«دع التهديدات، واخبرني ماذا حدث بالضبط».
«كتب لشقيقته على ما يبدو طالباً منها ان تحول له مبلغاً من المال. استجابت شقيقتك للطلب... ولكن المبلغ لم يكن كافياً. وليلة أمس الأولى، تعرض لعملية مطاردة في شوارع لندن. اصطدمت سيارته بزاوية احدى البنايات، وربما كان ذلك عمداً، فقتل على الفور. اكتشف رجال الشرطة هناك ان اقرب انسان له هو شقيقته... التي تعمل هنا».
«مسكين هذا الشاب! كان يتصرف دائماً وكأنه يسعى الى حتفه».
ثم تنهد وأضاف قائلاً:
«اعتقد ان علينا التمهل قليلاً لابلاغ إيما هذا النبأ المزعج. يكفيها ما مرت به طوال الليلة الفائتة».
«أوافقك بدون تحفظ. هيا، لنعد الى القاعة. قد يستعيد الرجل وعيه ويحاول القيام بشيء ما، على الرغم من قيوده».
التقى بهما فيليب قبل ان يدخلا الغرفة الكبيرة وابلغهما بأن لويزا هي الوحيدة بين بقية المقيمين في المنزل التي تعرضت لهجوم الرجل الدخيل، والسبب في ذلك ان غرفتها تقع في الجانب المخصص لأصحاب البيت وضيوفهم او العاملين معهم من غير الخدم مثل لويزا وإيما. وقال انها بدأت تستعيد وعيها، وسوف يكشف الطبيب على رأسها بعد معالجته للجريحة.
كانت انها تصارع الأهوال، فصرخ دايفيد وهو يسير بعصبية في ارجاء

الغرفة:

«اين مريضك يحتل السرير؟ الا يعرف انها حالة طارئة واضطرارية؟».

نظر اليه المفتش بتفكر ووضع يده على كتفه قائلاً:

«لنحاول تمضية الوقت بتحليل الظروف التي ادت الى هذه المشكلة. لماذا اتى هذان الرجلان الى هنا؟ ماذا كان دافعهم لاقتحام بيتك ومهاجمتك على هذا النحو؟».

جلس دايمون وبدأ يخبر المفتش القصة بحذافيرها وكما حدثت اولاً بأول. اخبره عن لقائه الأول والعابر مع تساي بن لونغ في مطار هونغ كونغ وعن حادثتي القتل في سان فرانسيسكو، وكذلك عن حادث اقتحام شقته في لندن. واخيراً، وصف له تفاصيل ما حدث في الليلة السابقة. وكان المساعد فيليب يدون كافة المعلومات بسرعة ودقة. ولما انتهى دايمون من رواية قصته، نظر اليه المفتش باهتمام بالغ وقال:

«انها قصة غريبة جداً. فلماذا تتصل بك هذه الفتاة ان لم تكن متورطة بهذه العملية. انا اظن، كهذين الرجلين، انك وافقت على الفيلم بدور الوسيط بعد مقتل الرجل البريطاني الآخر».

واشعل سيكارة ثم اضاف قائلاً:

«يجب ان تدرك يا دايمون ان تصرفاتك تثير الشكوك والشبهات. يبدو هذا، ولكنك مع ذلك تعود مباشرة الى لندن بعد مغادرتك سان فرانسيسكو».

«انا رجل اعمال اذهب حيثما تضطرني اعمالي للذهاب. اضف الى ذلك، انني لو كنت الوسيط فلماذا لم اترك الفيلم... ان كان له وجود في المقام الأول... في لندن؟».

«هذا الفيلم موجود، ونحن نعرف ذلك يا دايمون. ثم، أليس محتملاً انك ترغب في عرضه بطريقة المزاد العلني؟».

«تعني... على حكومات مختلفة؟».

«تماماً. اني اتصور ان عدداً كبيراً من رؤساء الدول يتمنون معرفة محتويات هذا الفيلم».

«بوب هوارد! هل تظن صراحة ان الفيلم حقاً موجود معي؟».

هز المفتش رأسه واجابه بجدية بعد ان شاهد القلق والاستغراب

الشديدين والصادقين على وجهه:

«لا يا دايمون، انا لا اظن ذلك. اني اعرفك منذ سنوات عديدة ولا اتصور انك ستعرض حياة ابنتك والآنسة هاروينغ لقاء شيء كهذا. اضف الى ذلك، انك لست من هذا النوع من الرجال».

تمتم دايمون بارتياح:

«شكراً لك يا روب».

سمع الرجلان وقع اقدام في الخارج فنهض دايمون وعلت وجهه ابتسامة خفيفة. انه الطبيب! توجها الى القاعة فوراً، فوجدا ان الطبيب باشر معالجة ايما. كما كان اثنان من رجال الشرطة يرافقان الدخيل الذي بدأ يستعيد وعيه. وبدأت الأمور تعود الى طبيعتها بصورة تدريجية. اخذت تانزي الفتاة الصغيرة الى سريرها حيث سيفحصها الطبيب في وقت لاحق. وبعد ان عالج كتف ايما وضمد الجرح بعناية فائقة، حملها دايمون الى غرفتها في الطابق العلوي ووضعها في سريرها. وبعد ان ذهب الجميع واختلى الرجلان لمتابعة تحليل المشكلة، ربت هوارد على كتفه وقال:

«اني متأسف جداً لارهاقك وازعاجك بمسائل المواصلة والملاحقة، ولكن اعتقال هذين الرجلين ليس نهاية الطريق. فما دامت قيادتهما تظن بأن الفيلم موجود معك، ستظل في خطر. ولذلك فإنه يتحتم علينا، بطريقة او بأخرى، ان نتأكد من ان الفيلم ليس معك... وان لم يكن معك، فأين هو هذا اللعين؟».

هز دايمون رأسه بعصبية وقال:

«بوب، الا تظن انني اريد معرفة ذلك قبلك؟ اني مشمئز من هذه القضية برمتها واريد الانتهاء منها كلية... وبأسرع وقت ممكن».

«لا يمكنك التخلص من هذه المشكلة بدون مواجهة بعض المصاعب. عندما يصبح الفيلم بحوزة السلطات المعنية، تصبح انت حراً طليقاً. ولكن حتى ذلك الحين...».

«سوف يطاردونني كالوحوش الكاسرة! يا لهذه الورطة الشنيعة!».

اخذ سيكارة من العلبة الموجودة امامه واخرج قداحته لاشعالها. ثم، كومضة برق، خطرت بباله فكرة... فهب واقفاً وهو يقول بدهشة بالغة:

«لدي فكرة غريبة!...».

«حافظ على هدوئك يا داهون، وفكر بروية!».
«لا أقدر! لا أقدر! ربّاه، لماذا لم أفكر بهذا الاحتمال من قبل؟».
لم يبد المفتش بشيء من الانزعاج، متصوراً أن الإرهاق والتعاسة هما سبب هذا التصرف. وسأله متبرماً:
«فكر بماذا، يا داهون؟».
«اسمع! كلما فكرت بتلك الفتاة الصينية، كنت دائماً أفكر بالأوقات التي كنا فيها معاً. وتأكد لي في وقت لاحق أنها هربت مني لأنها كانت خائفة. ولكن شيئاً آخر نسيته تماماً، وهو أننا عندما كنا في سان فرانسيسكو استعارت مني قداحتي... هذه القداحة! وعندما هربت واختفت، كما قلت لك، اختفت... واختفت القداحة معها. اعتقدت في البداية أنها سرقتها. ولكننا عندما خرجنا من المطعم، استوقفني مدير الفندق وأعطاني القداحة قائلاً أن فتاة صينية طلبت منه إعادتها لي شخصياً. لم أعد أفكر بالقداحة. تأكد لي أن الفتاة ذهبت ولن تعود، وتصورت أنها قررت إعادة القداحة لأنها ربما ندمت على سرقتها. ألا تلاحظ شيئاً غريباً في هذه المسألة؟ أليس محتملاً أن يكون الفيلم الصغير في القداحة؟».
«إنه احتمال معقول تماماً. لماذا لم تفكر بالقداحة من قبل؟».
«كما أخبرتك قبل قليل، لم يبد الأمر هاماً على الإطلاق. ولكني أعتبره الآن مفتاح القضية برمتها».
أخذ المفتش القداحة بسرعة وبدأ يفحصها ويقلّبها باهتمام بالغ. ثم صرخ بصوت عالٍ:
«حجر القداحة!».
وفتح بسرعة غطاء المكان الصغير المخصص للحجر الاشعال، فوقع الفيلم الصغير على الطاولة. وصرخ المفتش مرة أخرى بسرور وابتهاج:
«رائع! رائع!».
ثم ابتسم بمكر وقال:
«يجب أن أتوقع ترقية نتيجة هذه القضية».
ابتسم داهون أيضاً وهو لا يصدق بأن هذه الورطة المزعجة قد انتهت، ثم أشعل سيكارته بعود ثقاب من علبة قريبة وقال لصديقه ضاحكاً:
«إنك تستحقها... يا حضرة كبير المفتشين».

ثم ابتسم وهو يهز رأسه:
«يا لها من ليلة! يا لها من ليلة!».

بعد مرور شهر على تلك الليلة العصيبة والمغامرة المرعبة، أدخلت إيما الشاي إلى غرفة زوجها في شقتهما بلندن. كانت ترتدي عباءة حريرية شفافة... وتبدو كأنها في الثامنة عشرة من عمرها.
هذا ما قاله داهون لنفسه وهو يتأملها بشغف ومحبة، فيما كان مستلقياً بتكاسل على سريره يراقب دخولها وطريقة سيرها. ومع أنه مر أسبوعان وأكثر على زواجهما، إلا أنه لا يزال يشعر كلما شاهدها بتلك الرعشة المثيرة التي أحس بها عندما زين إصبعها بذلك الخاتم الرائع.
كانا سعيدين جداً، كما توقع أن يكونا. وكانت هي كل ما تمناه وأراده في زوجته وشريكة حياته. لم تعد تشعر بتلك العصبية الخفيفة التي أحست بها في الليلة الأولى لزواجهما... عندما كانت خائفة إلى حد ما من إظهار عواطفها بالقدر الذي تريد. ولكنه علمها بصورة تدريجية كيف تسعده وتبهجه، وفتح لها بذلك آفاقاً جديدة ومثيرة لم تكن تحلم بها من قبل.
وضعت الشاي قربه وسألته بهدوء وحنان:
«هل أيقظتك؟».
«كم الساعة الآن؟».
«الثامنة إلا خمس دقائق. هل تريد فنجاناً من الشاي؟».
«وهل تريدين أنت؟».
«نعم».
صبت فنجانين من الشاي وجلست على مقعد مجاور لتشرب فنجانها وتتأمله بعطف وحنان.
احتسى فنجانه بسرعة وقال:
«ها قد انتهيت. شكراً».
«يبدو أنك كنت بحاجة إليه».
«تعالي إلى هنا».
ظلت تشرب فنجانها متجاهلة طلبه ورغبته. فكرر طلبه بلهجة الأمر. ابتسمت وقالت له:

ولم اشرب حاجتي بعده.

كانت تشعر بلذة مثيرة عندما تعذبه وتغيظه على هذا النحو، لأنها تعرف الكيفية التي سيواسيها بها. انها تحبه وتحترمه . . . تحبه كانسان، وكرجل، وتشعر بانها لن تتحمل العيش بعيدة عنه او بدونه. شربت الشاي ووقفت بتكاسل متعمد. اخفى رأسه تحت الوسادة، فعضت على شفتها وصرخت به:

«دايمون، دايمون!».

لم يجبها، فاقتربت منه ورفعت رأسه نحوها. لم يمد يده اليها بل تركها تفعل ما تريد. قطبت جبينها قليلاً وناشدته قائلة:

«دايمون، لا تغضب مني!».

ابتسم بمكر وقال لها:

«انا لست غاضباً. اذهبي وارتدي ثيابك، فسوف اظل بعض الوقت في سريري».

قطبت وهزت رأسها وبدأت تتمتم:

«انك، انك. . .».

علق على ثورتها البريئة ضاحكاً:

«العصبية، العصبية!».

وشعر بأنه لم يعد قادراً على اغاظتها اكثر من ذلك. فرمى الغطاء الحريري واخذها بين ذراعيه.

«دايمون! ماذا لو دخل احد الآن؟».

«انك زوجتي، اليس كذلك؟».

وعانقها مانعاً اياها من مواصلة الاحتجاج والتذمر. وبعد فترة طويلة جداً، نهضت انها رغماً عنها واخذت تتأمله بعينين خاشعتين. ابتسم وامسك يدها ثم قبلها بوداعة وحنان وسألها:

«هل انت سعيدة يا حبيبتي؟».

اجابته بهدوء وهي ترتدي العباءة الحريرية بتردد ملحوظ:

«وهل يجب ان تسأل؟ اني لم اشعر بمثل هذه السعادة في اي وقت من حياتي. . . وانت تعلم ذلك».

«وجولي؟».

تنهدت انها وردت عليه وقد ابتلت عيناها بالدموع:

«وانت تعرف اني افتقده بين الحين والآخر. ولكني فخورة جداً ان نقتسم ابلغنا ذلك النبأ السيء في تلك الظروف بالذات. لا ادري ماذا كان سيحدث لنا لو لم يأت في ذلك الوقت».

«صحيح. كنا محظوظين لان بوب وصل في ذلك الوقت المبكر. ظن اني سأستخدم اليخت ذلك اليوم، وهو يعرف اني اذهب باكراً».

«كنا محظوظين جداً».

واغمضت عينيها لحظة وهي تستعيد ذكرى تلك الساعات الرهيبة والمرعبة. وارتعش جسمها، ثم تذكرت شيئاً فقالت:

«مسكين جولي! ينتهي على ذلك الشكل، يطارده الاشقياء ورجال العصابات! انه لأمر مؤسف ومحزن حقاً!».

تنهد دايمون وقال لها:

«افكر احياناً بما اذا كانت هذه الحادثة ستقع لو لم ارغمك على الذهاب الى سانت دومينيك!».

هزت انها رأسها بحدة وقالت:

«هذه سخافة! جولي والكاتب صديقان حميمان لا يفترقان. كان دائماً يريد مالاً، وكان سيواجه عاجلاً ام آجلاً مشكلة كهذه عندما لا يعود قادراً على تسديد ديون الشر والفساد».

«هل هذا ما تشعرين به حقاً؟».

«طبعاً. لماذا تسأل؟ هل كنت تظن اني ساحملك مسؤولية ما حدث له؟».

«تصورت ذلك احياناً».

«اوه، دايمون، حبيبي!».

ثم قامت من السرير وقالت:

«يجب ان اذهب لارتداء ثيابي سأستغرق اتأمل بين لحظة واخرى».

ابتسم دايمون وقال لها:

«حسناً».

نظرت اليه فجأة وسألته:

«بالمناسبة، كنت اريد ان اسألك قبلاً ولكني منعت نفسي بحزم

واصرار. هل نمت مع تلك الفتاة الصينية؟».
ابتسم ورد عليها بشيء من التهكم:
«إيما نورن! كيف تجرؤين على توجيه مثل هذا السؤال؟».
احمرت وجنتاها خجلاً وتمتمت قائلة:
«اوه... كنت... كنت اتساءل فقط!».
«حسناً، حسناً. سأغفر لك».
«ثم ماذا؟».
هز رأسه واجابها بهدوء:
«طبعاً لا. اني لم اتطلع الى اي امرأة اخرى منذ اللحظة الأولى لدخولك مكتبي طالبة مني مساعدة جوني».
«اوه، شكراً لك يا حبيبي، شكراً لك».
وضمته الى صدرها بقوة وحنان ثم اضافت باسمة:
«الآن يمكنني ان آخذ حماماً بسلام وطمأنينة. بالمناسبة، قرأت انابيل امس الصفحة الأولى من كتبها الجديد. ويعتقد الطبيب المختص ان نظرها سيعود الى حالته الطبيعية خلال فترة وجيزة».
ابتسم دايمون وقال:
«انا محظوظون جداً يا حبيبتي، اليس كذلك؟».
«ومسرورون وسعداء ايضاً».

روايات رومانسية عالمية
عبير

طال انتظاري

حين نحب
هل يعني هذا ان نضحي من
اجل من نحب؟ ضحت ايما بعاطفتها
الصادقة تجاة دايمون ، خوفا عليه ومن اجل
مركزه المرموق . انها فقيرة .. وهو غني. لكن الحب لا
يفرق بين القلوب. مرت سنوات عديدة على فراقهما ،
لكن الزمن يأبى الا ان يلتقي العاشقان. ادركت ايما ان
دايمون لم ينس او يغفر.. استخدم معها الابتزاز ، لارغامها
على القبول بوظيفة مرافقة وممرضة لابنته العمياء في
جزر البهاما. المهمة لم تكن سهلة ، فهو يحاول ان
يذلها، وينتقم منها. فهل تخطىء القلوب في
تلمس طريق الحب؟

JOHN LEE

جمهورية مصر العربية - القاهرة
٤١ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر